عصام الدين جاد

رواية

مذكرات مراهق

مذكرات مراهق

مؤسسة العالمية «سلسلة الكلمة»

رواية

مذكرات مراهقة

العالمية للصحافة والنشر والتوزيع تأسست فى ٢٠١٤

رئيس مجلس الإدارة: هشام جاد

المدير العام: الشريف خالد

مدير إدارة النشر: مدحت شنن

نائب مدير النشر: عصام الدين جاد

المراجعة اللغوية: محمد خضر- عاطف عبداللطيف

الغلاف: محمد مصطفى

الإخراج الداخلى: محمد البيطار

الرسومات الفنية: خالد المرصفى

ترقيم دولى: 978 - 977 - 07 - 1879 - 7

رقم الإيداع: 2018 / 17637

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأى اقتباس أو تقليد أو إعادة صياغة أو طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.جميع الشخصيات والأحداث من وحى الخيال والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقد لا غير.

Email

info@elkalimanews.com

Website

www.elkalimanews.com

phone:0227302063 –Mobil:01229694464

FB/ Alealamia2014

مذكرات مراهق

عصام الدين جاد

/essameddingaad

إهـــداء

رسالة إلى كل من غيَّر حياتى وأكسبها
ثقلاً معنوياً وعلمياً وعلمنى معنى الحياة.
أشكر معلمى الأول وحاضنى، هشام
جاد، هذا الرجل العظيم ليس لأنه أبى بل
لأنه قدوتى ومثلى الأعلى فى كل مواقف
حياتى التى رأينه فيها فارساً نبيلا شريفاً
مكافحاً من أجل الحق، والحق فقط.
أشكر حبيبتى أمى التى تعلم حبى لها وأعلم
حبها الذى حوانى طيلة عمرى ومازال.
أخى وحبيبى جويلى ومحمد السند والظهر.
أشكر أخى الكبير
الأديب والمحامي/ مدحت شنن
الذى شجعنى دائماً لنصنع مجداً ونبنى علما
يرفرف فى سماء العلم والثقافة، والكاتب
الصحفى الكبير مصطفى زكي
وأخى وحبيبى ومعلمى الكاتب الصحفى
حسام أبوالعلا والفنان الصحفي
فوزى مرسى.
وشكراً لكل من اعتقد أنه أحبطنى..
فكلامه كان تشجيعاً لى وليس انهزاماً.

هناك من تحبك بصمت، وتحترمك بصمت،

ويتمناك بينه وبين نفسه، ويبتعد حين يراك

مشغولاً بغيره، ويمنعه كبرياؤه من الاقتراب منك.

نزار قباني

الحكاية

تبدأ الحكاية لجميع الشباب فى أعوام الانفتاح على الحياة، التى من أهم مهامها بل وعلى رأسها «الحب» وهو هنا ليس بمفهومه الصحيح فى بداية الأمر.

حب النفس وحب الذات وحب الحياة وحب الأصدقاء والأهل... إلخ، إذ تجتمع لدى الإنسان الكثير من معانى الحب، ولكن ما أقصده لمعنى الحب هنا لم ينضج بعد فى هذا الوقت... لشاب طائش عاش تجارب تندرج تحت معنى ومسمى «الحب»، وقد ندرجها تحت خانة من خانات مرحلة المراهقة، التى لم تكن محض صدفة بل أحد أسبابها التكوين الجسمانى والنفسى لشاب فى مثل هذه السن وما هى إلا فتـــــرة.

إنها كذبة لملء خانة من خانات الرغبات والآمال والطموح النفسى، والطموح هنا كاذب وجامح لا أساس له من العقلانية، بل حب التقليد وما أدراك ما حب التقليد فى هذه السن!!

واجبات هذا الوقت أن أكمل وأفعل ما لدى، بعقلانية أو جنون،

الموضوع يختلف من شخص لآخر، فلن أعمم، فالفوارق الداخلية والاتزان النفسى عامل للاختيار وللفعل، ووقتها التفرقة بين جنونية الموضوع وعقلانيته على حسب حب الشخص للموضوع أو حسبانه وترتيبه.

هذه المرحلة ما هى إلا مرحلة الاختيار وبناء الشخصية بالسواعد الخارجية مع قابلية الشخص لها.

ومن أهم مراحل النضوج الفكرى والنفسى مرحلة الإحساس بـــ«حواء» حيث تحرك المشاعر ونمو فطرة الحب اللاإرادية.

البداية

أبحث عن حواء حبيبتى ، ويقال عنى أننى جاد بعض الشىء ، أو «كبير على سنه» لذا لم يكن بحثى عنها نزوة أو مجرد شكل ، بل أبحث عن التى سأعيش معها للكهولة ، لا من أجل الاستقرار فقط بل من أجل الحنان والعون .

صائم عن الحب ، تائه لا أعلم كيف سأخرج من مشكلتى ولا أعرف لما سميتها مشكلة ، هل لاختيارى أم لسوء النوايا أم لاختلاف نظرتى لمعنى الحب .

لدى قدرات الحديث مع أى إنسان ، لسانى لا يتلعثم وضربات قلبى مستقرة ، لا أنجذب ولا أحب الثرثرة . . . هل هذا اكتئاب أم انطوائية أم ثقة ؟

ليس هذا ضعف شخصية ولا ضعفاً خلقياً ولا روحياً ولكنه انشغال العقل الذى إن أصاب أحداً واستمر معه يسقطه فى بئر سحيقة .

حلم هذا؟ لا ، بل حقيقة ، والحقيقة أن أحلام اليقظة تملكتنى ،

ومع ذلك لم أجد حواء، افتقدتها فى وجوه من أقابلهن صدفة أو بميعاد. فهل هذا كابوس أم حقيقة أصابتنى بالملل فلم أعد أبحث عنها؟!

واستمر التفكير حتى علمت أن الحياة قدر وأن الكون ثابت له خالق عظيم ونحن نسير بفصله وكرمه. حينها قررت التوقف عن البحث الذى صار مملاً، لذا لن أبحث مرة أخرى وسأنتظر قدرى راضياً.. ومرت الأيام بلا تفكير.

أرى أمامى الكثير من أصدقائى وما يشعرون به تجاه صديقاتهم

لا أرى فيه معنى الحب المقصود، يعتبرونه سد خانة من خانات الحياة ليكتمل الشكل لا أكثر، وآخرون لا حياة لهم سوى المذاكرة، وآخرون مثل تفكيرى لم ينطقوا معنى كلمة «أحبك» إلى الآن، وتسير حياتهم بشكل عادى مع الـ«girl frind» لتكون العلاقات فى شكلها الطبيعى وإطارها العادى بدون مزج كلمات الحب فى ثنايا الحديث . . بدأت مرحلة الثانوية العامة بالتفاؤل والأمل فى بلوغ حلم الالتحاق بكلية السياسة والاقتصاد ليس لأنها من كليات القمة، بل لأنى أعشق السياسة وعلم الاقتصاد. وبدأت معركة الدروس الخصوصية وروتين المدارس والكتب الخارجية وتصوير ملازم الشرح، وكلها ممارسات مملة لا تدعو إلى الابتكار، ولا تنبئ عن الأفضل.

فى شارع ضيق مطل على شارع شبرا كان يوم الأحد لدرس «علم النفس» مع معلم خبير فى مهنته يتعامل بالمبدأ الأكاديمى لا التقليدى أو المشابه.

هناك رأيتها، لم تكن غريبة عن ناظرى ولكنى لا أعرف اسمها. سألت نفسى هل أحلم أم أنه واقعى؟ فجاءتنى الإجابة على عجل حتى لا يحرمنى التفكير من لذة رؤياها. نعم أنا لا أحلم إنها حقيقة

أراها وتتجسد أمامى واقعاً جميلاً يشع كضوء الشمس .

تابعت حديثها الرقيق مع صديقاتها ، فجذبتنى إليها كالمنوم بدون إرادة ، لا أرى سواها ، انصت لحديثها كلما همست ، حتى مر الوقت وأنا أتأملها كلوحة مرسومة لم أر مثلها فى حياتى . كنت أبحث عن حجة للحديث معها أو حتى للفت انتباهها ، صوتى الجهور المزعج قد يلفت انتباهها ، أريدها أن تنظر فقط .

رجعت إلى غرفتى التى تملأها شرائط الكاسيت للهضبة والكينج وكلثوميات الهوى ووردة ، وسماعات أحب ضجيجها العالى ، وظللت أفكر فيها على تلك الأنغام حتى حل الليل وسكن الهدوء الوجود ، ومازال عقلى يطالبنى بعدم التفكير فيها ، أو الارتباط بها

لأنه سير نحو المجهول .

عصيت عقلى ، وطاوعتنى روحى لتتأمل وجهها المشرق كفلق الصبح ، وشعرها الأسود الفاحم وعودها الذى يتهادى كالغصن الميادً ، وعينيها التى ألقت فى قلبى سهاماً لا أدرى كيف الخلاص منها ولا إلى أين المنتهى .

انتظرت وكلى اشتياق إلى الأحد القادم ، حيث موعد لقائها بحجة درس علم النفس . مرت الأيام مملة رتيبة ، حاولت قضاءها فى ممارساتى اليومية حيث قهوة الصباح والاستماع لطرب فيروز وأم كلثوم ، والذهاب إلى المدرسة والجلوس مع أصدقائى ورغم ذلك لم تغادر تفكيرى لحظة ، بل ظلت متملكة لكيانى ، ولا أدرى السبب !

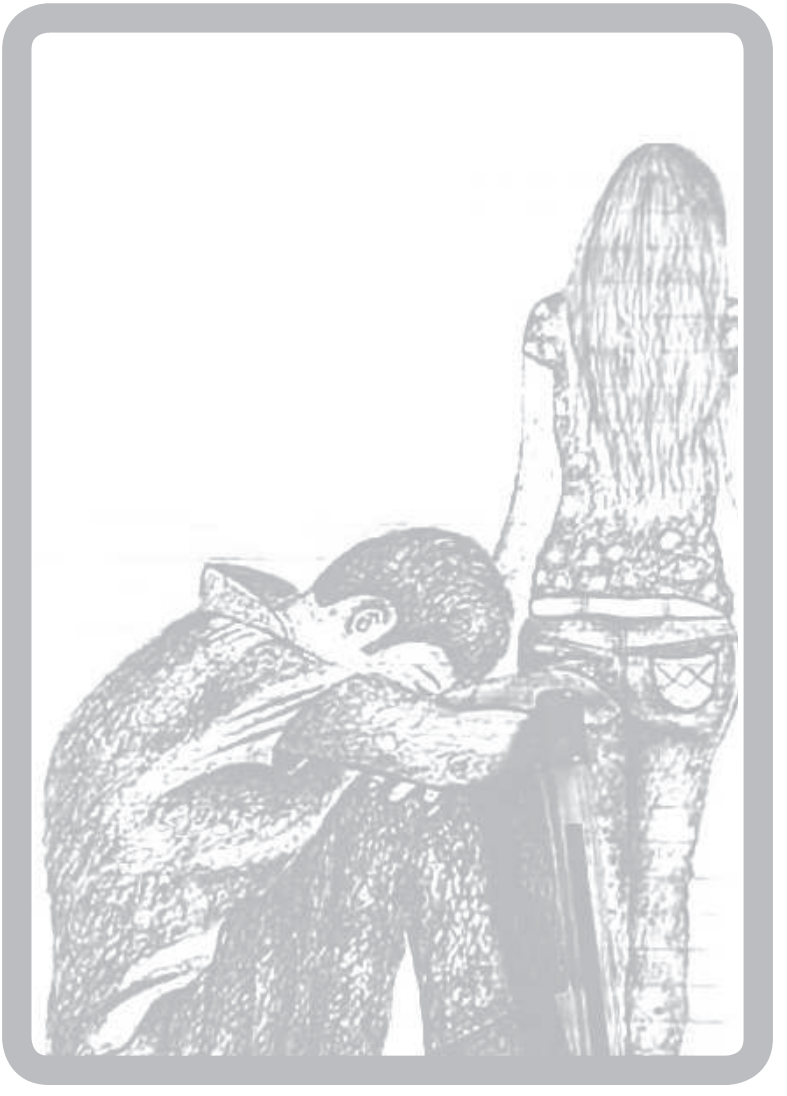

المقاومة

أتى صباح الأحد . . .

ذهبت قبلها بقليل لأراها ، وقفت فى الشارع لدقائق ، لكنى مللت من النظر فى وجوه المارة ، كانت بالداخل ولكنى كنت سارحاً فلم أرها ، تجلس مع صديقتها فى خجل وكسوف وفى يدها علبة عصير تهمس وتبتسم من حين لآخر ، وبدون شعور كعادتى أخذت العصير من يدها . انتابها العجب وتملكها الذهول من جرأتى ، فنظرت لى بصمت وقد ألجم لسانها ، ثم أخرجت من حقيبتها قطعة شوكولاتة وأعطتها لى وهى تبتسم دون أن تتكلم بينما أنا أتأملها وأحويها بنظرى وصديقتها تحملق فينا مصدومة بالموقف . مر اليوم وبحوزتى غلاف الشكولاتة الذى ظللت محتفظاً به ، ثم عدت لبيتى وصعدت إلى سطوح المنزل حيث أصدقائى الأنقياء «الحمام» ، جلست بجوارهم يشغلنى ذكراها وأنا اتأمل بياض الحمام وحبه لبعضه البعض وخوفه على أفراخه ، سبحان من علمه . وسط هذا الجو الحنون أتذكر جمالها وحياءها ، وأقول لنفسى هى من أبحث عنها بعد غياب ، ولكن عقلى يرد :

-«هو انت اتكلمت معاها طب عرفت اسمها حتى ، طب انت خبَّطت قبل ما تدخل ؟!»

أجبته وكلى شجاعة :

- هو الحب عايز ميعاد أو استئذان . . . دى حاجة بتيجى كدا فجأة .

كان قلبى يوافقنى القول رغم تسارع نبضاته لا خوفاً إنما لهفـــــــة لرؤياها . كنت

أخمن الأسماء التى سمعتها وأختار اسماً شبيهاً لها يناسب نقاءها وجمالها وحياءها

ثم هاجمتنى الاسئلة المتلاحقة . . .

– هى مرتبطة أم لا؟!

قلبى يرد بنبضه المتسارع : «ولا يهمك عادى» .

يتدخل عقلى ليبعدنى عن تجربة قد ترمينى فى بئر سحيقة لاسيما وأنه قد أصيب بخيبة أمل فى مواقف عديدة ، فقال :

– هو انت مش قولت إن لا فى ارتباط ولا حب!

– أنت مبتشوفش غير التعليم والنجاح والحاجة الكسبانة بس .

عقلى يدفعنى نحو الاهتمام بصحتى ودراستى وعلاقاتى الأسرية والاجتماعية فقط ، لذا ظل يلح علىَّ طوال الأسبوع أن أنساها ، لكن قلبى كان ينتظر لقاءها ويهيم فى صمت .

وجاء الأحد ولم تظهر!

كنت فى موقف صعب ، فأنا لا أعرف اسمها وبالتالى كيف سأسال عنها؟ ولا مبرر للسؤال عنها ، إذ قد يسبب مشاكل لى ولها وكلانا فى غنى عنها .

بدأت المذاكرة وكلى أمل فى التفوق ولكن طيفها كان ينسينى كل شىء ، انتظر الأحد من كل أسبوع لأرطب روحى الثكلى برؤياها ولكنها لم تحضر .

سألت نفسى : أيكون تصرفى معها هو السبب فى عدم حضورها؟

قاومت حيرتى وبحثت عمن أسأله عنها . ولكن من؟

أستاذى ، كان قريباً لقلوبنا حيث يعاملنا كأصدقائه وإخوته الصغار .

– فى بنت هنا بتيجى معانا الدرس المحجبة اللى بتقعد ساكتة على طول قدامك .

– للأسف يا عمر مش عارف عنها حاجة ، بس ليه!! فى حاجة .

– لا خالص أصل فى حاجة وقعت منها وعايز أديها لها.

مر أسبوعان ولم أرها فانتصر عقلى وكسب الرهان، حينها أقسمت ألا أفكر فيها مرة أخرى، فلا حاجة بى لرؤيتها. نزوة وانتهت بلا تجربة حقيقية. وأقنعت نفسى أنه لم يكن بينى وبينها ما يستدعى التفكير فيها، أو التعلق بها، ومن هنا هاودت عقلى وتفهمت رؤيته بأن المذاكرة والمستقبل أهم من علاقة عابرة لا قيمة لها.

الأحد الخامس...

لم أهتم مثل الأيام السابقة، لكنها حضرت، فتظاهرت بعدم الاهتمام وفى قلبى زفة بلدى من الفرح، ومع ذلك حاولت التماسك والتظاهر بالعقلانية. ولكنى سألت نفسى هل أصابتنى أعراض الشيزوفيرنيا؟

فتحت اللاب بحثاً عن «الشيزوفرنيا»، فوجدتها اضطراباً نفسياً يتسم بسلوك اجتماعى غير طبيعى وفشل فى تمييز الواقع بالإضافة إلى الوهم واضطراب الفكر.

مصيبة، تراجيديا سوداء، خاطبت نفسى:

– فشل فى التميز واضطراب فكر... ايه ده، لا يا عم لا نفكر ولا نعمل لا تكون دى بداية اللى بيقولوا عنها شيزوفرنيا، سلام يا عم الحب أنا لسه مفرحتش بشبابى.

ومع ذلك وفى أحد الأيام حيث تجمع الدرس، ودون أن أشعر سألت عنها أستاذى وأنا أشير إليها وهى ترانى، فرد:

– معرفش عنها حاجة بس أنا عارف إنك عايز تكلمها.

حوانى الخجل، وأنا أقول لنفسى: «ايه ده يمكن علشان بتاع علم نفس ولا يمكن أنا باين عليا اوى انى مشغول بيها»، ولم أرد عليه إلا بالصمت لعجزى عن الرد أو اختراع المبرر لسؤالى الذى لم يكن بريئاً ولا عفوياً كما حاولت أن أقنعه.

مرت الأيام وتعددت اللقاءات، ومازال شغفى مستمراً يتزايد، الوقت يمر والامتحانات على مقربة، أشعر بوحش يفتح فاهه ليفترسنى، «يا نهار أبيض ده أنا بضيع يا وديع»، مللت من وعدى بالمذاكرة لنفسى ولكن هذه المرة سيكون الوعد الأخير، فلم يعد لدى رفاهية الوقت ومستقبلى صار على المحك.

شروق

«شروق» اسمها الذى اخترق قلبى قبل أذنى ، يالها من سعادة ، أشعر بأنه أول إنجاز لى . لا بد من البحث عن حجة لأخترق قلعتها ، فكرت فى حجة الغلبان «تصوير الملازم أو الأوراق» خصوصاً أنها كانت حريصة على كتابة كل كلمة يتفوه بها الأستاذ ، انتظرتها قبل الميعاد رغم أسئلة الأصدقاء :

«واقف ليه؟ طب اطلع اقعد معانا . . فى حاجة مزعلاك ولا ايه»

كنت أخشى أن يرانى أحد وأنا أكلمها ، فالكل يعلم عنى أننى لست من هواة الانتظار ولا أشتاق ولا أتعلق .

ردود جوفاء وسلام تائه للأصدقاء ، إلى أن أتى وجه الغراب ، أحد زملائى لا أتذكر اسمه ، ولا أريد أن أتذكره ، ظل يتحدث ويثرثر وأنا أنظر فى ساعتى ومن داخلى أتمنى رحيله حتى ألقاها بمفردى فأقدر على الكلام معها . أحب التفرد بهذا العمل بعيدا عن أعين الناس ، وهى لن تقف أبداً إن رأتنى بصحبة أحد .

دقائق ورأيتها تأتى فطلبت من زميلى الانصراف وتحججت بأننى سأقوم بعمل شىء ما وسأعود له .

ثم تمالكت أعصابى وتشجعت وذهبت نحوها :

– ازيك . . عاملة ايه ، والله مش بضايقك ولا بعاكس ، ممكن أصور الورق اللى بتكتبى فيه الدروس لو مفيهاش مشكلة؟

– تمام تمام ، اه اتفضل .

كان هدفى من تصوير الأوراق معرفة اسمها الثانى الذى قد يكون مكتوباً عليها ، أو الوصول لأى تفاصيل تقربنى منها ولو شبراً ، خصوصاً وأننى كنت محتاجا اقتحام قلعتها عالية الأسوار .

وبالفعل قمت بتصوير الأوراق لكننى لم أجد شيئاً ، ففكرت بكتابة رسالة وأضعها بين طيات أوراقها .

«ولا ده شغل قديم !»

حينها كان واقفاً معى أخينا فقال :

– اشترى يا عم هدية لها بس تكون غالية وحطها جواها !

أذعنت لمشورته ولم أتردد ولم أفكر وقتها ما علاقة غلاء الشىء بمقدار الحب؟ ! أوصلت الأوراق لمكان الدرس وأعطيتها لإحدى صديقاتها وقلت لها :

– عايزك تدى الورق ده لشروق أنت طبعاً عارفها .

– آه ، بس ورق ايه ده .

– أصل أنا كنت بصوره ومش عايز اديهولها جوه قدام أى حد علشان يعنى شايفها بتتحرج .

حضرت حتى النصف الأول من الدرس .

ورأيت وجهها يملأه الكسوف كما رأيت من بالداخل ينظرون لى ووجوههم يملأها الضحك . . . استغربت وقولت لنفسى هل هناك شىء؟!

نادتنى زميلتها :

– متمشيش عايزاك ثانية

– فى حاجة؟ !

انتظرت بعض الوقت ورأيتها تريد الحديث معى منفرداً كى لا يرانا أحد . وأخرجت الهدية من شنطتها فاستغربت أو صنعت الاستغراب وقتها .

– ايه ده؟!

– ابقى شوفها بعدين .

فتحتها أمامها ، وتعالت ضحكاتى وكنت خجولاً من داخلى لهذا

الإحراج .

– انت مش تقولى وتفهمنى؟!

ألجم الصمت لسانى فلم أجد رداً ، وكنت مشغولاً بوجهها وهى تنظر لى بطلتها البريئة ، لكننى جاريت الأمور بضحك وهزار وقد كنت أتمنى مرور الوقت ليذهب هذا الموقف المحرج .

اتصلت بصديقى «مصطفى» وحكيت له ما حدث فرد :

– انت غلطان ، محدش بيعمل كده .

– اهى جت زى ما جت وده كان تفكيرى وقتها وكأنى أول مرة أكلم واحدة ، عارف لما تكون متلخبط اوى اوى ومش عارف تجمع كلام أو تقوله .

– طب بص . . سيبها اليومين دول وأبقى كلمها بعد كده ياسيدي ، أصل انت أحرجتها جامد ولو شوفت منظرها وهى بتطلع الحاجة من نص الورق وبتقول لك الحاجة دى بتاعتك ، عمر كان بيصورها .

– عارف يا طاطا المشكلة إن أصحابها بيجوا معاها ، ومبيكلموش أى حد ، ده حتى المستر نفسه مبيتكلموش معاه ، ولما حتى أصحابها مبيجوش معاها باباها بيوصلها على الشارع ويخدها بالعربية .

– مش عارف . . . عادى يعنى وخلاص موقف وعدى .

لم أحاول أن أسعى للوصول إليها فهى إن أحرجت فأنا أحرجت أكثر منها بكثير ويعد هذا الموقف الأول المحرج فى حياتى .

وتأتى الصدفة ، تمشى مفردها . . .

– «شروق» أنا آسف إنى ضايقتك بس يعنى أنا مقصدش كده خالص . . .

وقطعت حديثى :

– لا محصلش حاجة بس مضايقنيش تانى .

توقفت عند كلمة «مضايقنيش تانى» ، ولُمت نفسى وعاتبتها على ما بدر منى من موقف متهور . انتظرت أن تأتى الساعة الثانية عشرة لأصعد إلى السطوح ، أحب الظلام وسماع الموسيقى والأغانى ، أعتقدت أن سماعى للعديد منهم سيصبرنى ، أنا لا أعرف جماليات الكلام وتحسينه «أزاى هشوف بكرة وأنا عايش من غيرها» هل يصبرنى الأمل وقصص الأغانى ، فقد عقلى الأمل هو أيضاً ولم ينصحنى من جديد وطاوعنى . . . من منير لعمرو لأم كلثوم لرامى جمال . . .

أود النزول لأنام وأغلق أنوار السطح وأطفئ براد الشاى ، اسمع

مقطوعة من إبداعات منير.

عاشق اعشقنى..

كاره اكرهنى..

لكن اسمعنى حاول تتغير.

غير.. غيرنى من أول لمسة.

سرحت فى كلامه وصوته وأحلم متى سأشجع نفسى للرحيل أو البقاء، وعاد الروتين اليومى.

منتصف الليل... أسمع صوتها، أراها، أشعر بها والدنيا يملأها الصقيع ولا يظهر غير هذا القمر.

«شايفها.. وبكلمها !!» بكاء لا أعلم مداه، واختلطت دموعى بالمطر.

وبقيت على هذه الحال ما بين الرجاء والأمل واللوم ولأول مرة أشعر بالخسارة والإحباط.

لا أعلم لماذا أجبرتنى على حبها، لا أعلم إلى الآن من هى وأراها فقط مع النجوم، واتخيل ضحكاتها وسط السحاب.

صبرت قلبى على حب لم يكن، وسألت نفسى:

هو انا حبيتها ليه و كمان طلعت بحبها اوى؟

أعرف منين إذا بتكرهنى ولا بتحبنى؟

أسئلة متضاربة تنهش عقلى، لكن نبع من داخلى إصرار على البحث عن طرق أخرى أستطيع معرفتها من خلالها بلا كلفة أو حرج.

رقم تليفونها، من الممكن الوصول إليه من خلال السنتر أو إحدى صديقاتها، وبالفعل وصلت للرقم ولم يكن بالأمر السهل لأن طلبه سيثير التساؤلات خصوصاً أنه لا علاقة لى بها. ومع ذلك سأكلمها الآن، وكتبت الرقم. . . . سكت قبلها لأسمع من يرد على وقلبى تتسارع نبضاته:

– الووو مين معايا.

أغلقت الهاتف، فلم يكن صوتها بل صوت جهورى يمكن يكون أخوها أو والدها أو أو. . .

خيبة أمل وتعاسة انتابتنى مرة ثانية وأنا بصدد محاولة الوصول إليها، راجعت صحة الرقم وتأكدت أنه رقمها.

اتصلت على صديقتى «نورهان».

– عايز منك طلب

– اتفضل

شرحت لها ما كان وما أريد ووضعت بين حروفى ما يقطع بأنها حبيبتى التى أتمناها من الدنيا .

– حاضر ، بس خدنى على قد عقلى انت متعرفش أى حاجة عنها إلا إنها معاك فى درس ، والحاجة التانية أنا حتى لو كلمتها وباباها رد عليا هقوله ايه وأنا معرفش حاجة منك عنها ، ده حتى انت متعرفش بتاخد دروس فين ، وحتى ياسيدى لو كلمتها هقولها ايه هقولها «معلش أنا معرفكيش وعايزه أدردش معاك ، اصل فى واحد بيحبك وعايز يتعرف عليك» غريبة .

– معلش حاولى

– حاضر

وافقتنى لكى ترضينى وتركتها ساعة ثم عاودت الاتصال بها .

– ايه اللى حصل يا نونو !

– والدها اللى رد عليا «أصل ده تليفونه» على ما فهمت من الكلام وقالى متتصليش تانى ، لو انت صاحبتها بجد كان يبقى معاك رقمها وأنا عارف صحابها . . . وكسفنى ومعرفتش أرد وقفل السكة فى وشى .

– تمام تمام ، شكراً ومعلش إنى سببتلك أى كلمة ضايقتك .

اعترفت أنها دون غيرها الآن . . . وبدأت أتفهم الأمر، أنها الوحيدة التى دخلت قلبى واحتلت روحى وشتت عقلى، هذه الأماكن التى لم يتجرأ أحد على دخولها ولم أسمح لعينى أن تعشق أو تتمنى أو تحب وكانت هى الوحيدة، دون غيرها من سكنت قلبى واستقرت به، فأحببتها دون أى مقدمات.

لم أيأس ولم يقف أملى عند هذا الحد، فتحدثت مع إحدى صديقاتى المقربات بل هى أختى وصاحبة العمر، وتكلمت معى فى الصحيح والطبيعى ولكن لم يكن لكلامها قبول، لأنه لم يكن يشغلنى حينها سوى الوصول إليها مهما تكلف الأمر، ولا أرى سوى حبى الذى سكن قلبى العاشق ولا يريد التخلى وكأنى أعرفها من زمن لا أدرى متى وأين تحدثت معها وإلى أين سيأخذنى الطريق والوقت.

طال حديثها عن العقل والانتظار وأخبرتنى بأن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى كل ما يشتهيه. لم أرد وبماذا أرد، نصحتنى بأن أفكر بعد الجامعة للوصول إليها وأكون ذا مكان مرموق.

نظرت إلى حديثها بالنظرة المادية والشكل الروتينى والتقليدى المعتاد فى الأفلام والمسلسلات العربى التى لم تنجح لأن المشاهد

يحب الجديد الذى لا يتخيله العقل .

راودنى سؤال : هل أبحث عن تجربة مهمة وصعبة؟

لم أجد إجابة من الممكن لضعف معلوماتى أم لبرودة الحدث

والسؤال الآخر : هل أحبها أم شكليات كما سبق شرحه؟

وقفت عند هذا السؤال . . . وكيف تحبها ولم تتحدث معك؟

تساقطت الأسئلة مثل المطر ، كانت أسئلة لوم وعتاب للنفس

وكان آخرها : هل تفكر بها كسبب للهرب من الثانوية لتكون حجة للفشل؟

هاجمتنى إجابات بالنفى وتعالت اللاءات .

ضربت بكل الأسئلة عرض الحائط وشعارى لن ولن أتخاذل

وكأنى أرسم مهمة لا أركان لها ولا معلومات لتلعب على الأحرف الأولى ، سيناريو للقصص البوليسية المملة ، براهين وخطط وحلول فاشلة للوصول والإقناع .

رسمت بيتاً أراها فيه حب عمرى القادم ، سرحت باسمها على أوراقى وكتبى ، وأعد نجوم الانتظار طيلة الليل بل نجوم الحب .

وفى الصباح كنت أرى العبث فى كل ما قد يخصنى

أخى . . .

إنه يبحث عن شيء وليس عادته العبث .

انه يبحث عن أسم «S» وأوصافها ، يدعبس ويحرك أوراقى ليجد شيئاً عن هذا الحرف .

أريد تعلم الرسم . . . اتمنى رؤية وجهها ، وأحبها أكثر وأكثر ، شعور ينتابنى بنسيان شكلها . . . لكنه محفور بقلبى فلا مكان لنسيانها .

راقبنى أخى ولم يسألنى وهو فى حيرة منى ، لماذا لم أحك له كالعادة ، وتساءل هل لدى مشكلة . أخى يرانى مع أصدقائى وصديقاتى وأحبابى وأحكى له عن تجاربى وأنصحه وأتشاور معه فلماذا هذه المرة ، أرى كل الأسئلة فى عيونه !

صادفه أن يرى اسمها على حائط الغرفة وعلى المنضدة وعلى الباب وهاتفى ، ويرى بحثى عنها فى مواقع التواصل الاجتماعى . . .

تعجب واندهش : وأنا أبحث عن شخص باسمه الأول فقط .

وأخيراً سألنى بعد أن أجهدته الأسئلة فحكيت له التفاصيل ولكنه قليل الحيلة صغير السن عنى ، وإذا به يحكى للدكتورة (أمى) صاحبة الفضل على . . .

اثنان يراقبانى الآن من بعيد «تصرفاتى ووحدتى وبعدى عن البيت» وكأنى لم أكن معهما حتى . . طعامى وحيد لا آكل ولا أنزل ولا أتحدث ولا أصعد أعلى المنزل . . . لا أراعى شيئاً لا أذاكر ولا أهتم بمستقبلى ولا صحتى .

تحدثوا معى مراراً وتكراراً ليساعدونى ولا فائدة من الحديث .

لا أبالى بسماع النصائح ، طار قلبى ولم يعد ، لست هنا فى دنيا أخرى أسعى إلى وصول مرادى وأتمنى تحقيقه .

لم تنقطع أنفاسى ، كل يوم تشرق فيه الشمس أراها فيه حتى وإن عاد القمر أراها ، أبحث عنها وسط النجوم من خلف شيش النافذة وسط ضوء خافت . . .

وظل أخى ووالدتى يبحثان عن شىء لمساعدتى ، فتغير أحوالى أمر مفاجئ لطباعى فأنا لست من هواه الصمت أو الانطواء ، فما هو الشىء الذى بدلنى؟ وبماذا يساعدونى؟

ضاعت كل السبل ، لم أجد بديلاً أو طريقاً للوصول إليها ، أغلقت الحديث فى وجهى ، وأصدقاؤها امتنعوا عن الحديث ، لم يكن بسببى بل لانغلاقهم على أنفسهم .

كيف الوصول وبداخلى حاجة ملحة للسؤال عنها .

سنحت فرصة لى للتحدث مع أصدقائى المقربين وأحد أقاربى ، «أفضفض» معهم بعد تعجبهم من حالى ، وما حدث من تغير فلم يكن يمر أسبوع إلا وأنا معهم .

– ايه اللى حصلك يا عمر ، اتغيرت واتغيرت طريقتك وبقيت مش طايق الكلام ولا تقعد مع حد ، مشكلة دى ولا ثانوية عامة ؟ !

– لا ثانوية عامة انت عارف اللى فيها .

– يا أخى انت بتبقى فى الدروس «مبلم» شايفك مش مهتم بحاجة ، انت مش عمر اللى نعرف شخصيته العجيبة ، الضحك والجد وحب الناس وحبهم ليك ، بقيت انطوائى ، غريب مش شيفينك .

وبدون إدراك وجدتنى أقول :

– «أيوه أيوة . . . بفكر إزاى أوصلها»

– توصل لمين ، وتفكر ليه .

– أنا متكلمتش مع حد فى الموضوع ده إلا لناس بعينهم وانت منهم يا مصطفى ومحمد أول مره يسمع الكلام ده . . . زهقان وطهقان ومعنديش أى طاقة لا نجاح ولا أمل ولا حتى عايز أوصل لأملى وأحلامى ، حاسس إنى وقعت فى الإرض ، نفسى أعرف

حبيتها إزاى وأمتى .

– مين !

– بيتهيئلى انت عارفها ، واحدة حبيتها أوى أوى ، عشت أياماً أحلم بها وأسرح وأضحك فى ضحكتها وأحفظ شكلها ، وتعب الحلم بقى ممل ، الوصول لها بقى كابوس ، كل الأبواب اتقفلت فى وشى .

– مالك مكبرها ليه يا عم . . . واحدة زى أى واحدة .

– أقسم بالله إنها لا واحدة عادية ولا زى أى واحدة ، أكتر واحد انت عارف أن عمرى ما اتعلقت بحد بس ممكن أحب أى حد بالشكل العادى ، أحب له الخير واقف جانبه والكلام ده مش لازم أن يكون فى مصلحة ، أو زيكوا كده أو واحدة صاحبتى ، إلا دى شدتنى لها وبحبها حب مش عادى ، حب مجنون ، حب المستقبل والحاضر والأمل ، بس دلوقتى حاسس إنى فى دنيا غير الدنيا وكأنها مخدرات أدمنتها فى وقت قليل ممكن لا أموت وأنا مش عارف أجيبها ، لا أموت مع ذكراها ، لكن التشبيه ده مش حلو لأن المخدر بيموت فى الحالتين ولا حتى دى صفاتها ، دى جميلة كملاك ، ملاك ربنا بعته لى ، بس لازم أتعب شويه علشان أوصله ، وكأنها آخر الدنيا وآخر

حياتى .

وتساءلت بعد هذا الحديث الطويل الذى لم أتذكر كلامه الثقيل ومرادفاته غير المفهومة : هل انتهت القصة ، أم سيأتى جناح جديد لأطير إليها؟ نصحونى وقتها بألا أربط نفسى بوهم !

يوم البطولة «المصارعة الرومانى» كنت لاعباً أعتبر من الأسماء الكبيرة ولى اسمى ، لكن الأمل فى المكسب توقف والحكاية إننى منذ أن شاركت فى آخر بطولة وأنا لا انتظر إلا وقوفها بجانبى ، تكون موجودة معى ، إحساس بأنها ستعطينى الطاقة والقوة «كنت موقف كل حاجة إلا إذا هى معايا» .

أشعر قبلها بأن وصولى اقترب إليها وهيئت نفسى أن تكون معى وأول من ينادى اسمى ليشجعنى .

وذهبت للعب وأنا سارح ، وأشاهد مقاعد المشجعين ، وأهلى ومصطفى صديقى ومحمد قريبى ، وزملائى بالنادى يشاهدونى وأنا لا أنظر إليهم بل للكرسى الفارغ الذى لا يجلس عليه من أحب وانتظر تصفيقها وتشجيعها بصوتها الجميل وهى تقول لى «يالا يالا العب هتفوز ، انت الأقوى» ، وبعد سلام الأبطال لم أكن أرى خصمى ، نظرى متجه لباب الدخول أريد رؤيتها . . . لم أشعر

بنفسى إلا وأنا ملقى على الأرض، ومر الوقت، وخبط الحكم على البساط ورفع يد صاحب الرداء الأحمر.

استغرب الجميع من هزيمتى بهذه السهولة التى لم يكن بها مقاومة، أعضاء النادى والمحكمون أنفسهم وأهلى وفريق المصارعة والمدربون، كانوا فى شدة الدهشة ولم يكن لدى رد مقنع لهذا الاستسلام.

اقترب منى مدربى الذى كنت اعتبره أخاً أكبر، وضع يده على كتفى بضربة قوية، شعرت بأنه يريد أن أفيق، وبحزم قال:

– مالك يا وحش... عرفت إنك بتشرب سجاير وفاشل حتى فى دراستك وفشلت فى أن تحافظ على صحتك، ونصيحة مضيعش مستقبلك علشان تفاهات، وأنا مش عايز أعرف ايه هى أو ايه السبب اللى حولك كدا بس آخر حاجة هقولها: حراااام عليك، انت واخد بطولة افريقيا، حافظ على صحتك وخليك فرحة أبوك وأمك وإخواتك زى ما هما حاطين أملهم عليك وخايفين عليك مش هما بس ده حتى زمايلك فى النادى، عمر... ارجع عن أى حاجة ممكن تفقدك الأمل ويضيع مستقبلك بسببها.

تركت الكابتن مدربى، ولم أسمع أى شىء مما قاله، اتصالات..

واتصالات، فمن حسن حظى لرؤيتهم، كانت البطولة عددها لم يكتمل وتم تصعيد جميع اللاعبين والتصفية فى النهائى. اتصلوا على أخى حتى أحضر التمرينات الأخيرة، فلا محاولة مجدية معى.

والأكثر مأساة للجميع أن يروا شخصاً فقد كل معانى النجاح وتساقطت الشكاوى للأهل والأقارب والأصحاب من كل من يحبنى فى النادى والدروس وغيرهما.

وظل الحال على ما هو عليه إلى أجازة نصف العام، تشجعت بعض الشىء للنسيان والرجوع لما مضى حتى أحافظ على الحاضر والمستقبل.

وعادت الدراسة وحياتها الروتينية، اذهب للدرس لرؤيتها، قليلون جدا يعلمون حبى لها وحدثنى استاذ علم النفس. .

– يا عمر اللى انت بتعمله كدا غلط عايز تكلمها وترتبط بها استنى بعد ما تخلص وروح اتقدم لها وبلاش شغل العيال ده وانجح علشان متبقاش فاشل.

أنظر إليها بصمت، أريد أن أقوم بشىء مجنون بل أكثر جنوناً، أريد لفت نظرها، أتعامل الآن كشاب أبله لم يدخل فى أى تجارب بل لم يتعلم الكلام، بل زاد الأمر خجلا وانتظرت حديثها لى أولاً،

هذا عكس العادة، راودنى سؤال مؤلم: هل أطيق الآن المحاولة من جديد؟

لا وألف لا، اكتفيت بهذا القدر من الأزمات والإحراج وسأترك الأمور لحالها، فقد فقدت الأمل فى استمرار حبى لها كما فقدت نجاحى وبطولتى وصحتى... شعرت بأن عندى ألف عام.

شعور عجوز يداهمنى بعجز فكرى، أنظر فى المرآة لا هى أوصافى ولا ضحكتى ولا عيناى... يئس من كل شىء ولم أصدق مقولة «البعيد عن العين بعيد عن القلب».

تدخلت أمى لنجدتى لما وصل إليه حالى.

– يا ابنى لازم نشوف الهبل اللى انت عايش فيه، هتروح لدكتور زميلى معانا فى هيئة التدريس، هتروح تدردش وتقعد معاه شوية فى النادى.

– ماشى حاضر... الدكتور خالد، هههههه ماشى.

طاوعت أمى حتى تستريح من الفكر طوال الليل وأعلم مدى انشغالها بى، ولا يوجد عيب فى الذهاب لطبيب نفسى، فمن يشعر أنه كامل ويكابر على عقلانيته وعلى المرض فهو مريض ويستحق العلاج، فلا أحد يملك الكمال.

ومن الغريب انه اتصل بى واتفق معى على الميعاد

– مساء الخير يا دكتور . . .

– مالك يا عم عمر ، ايه قالب الدنيا ليه ، سمعت إنك عامل مشاكل كتيرة .

– لا مفيش يا دكتور علشان الدراسة . . . بصراحة بحب واحدة كدا يعنى وكأنى أول مرة أكلم بنت أو مش عارف الطريقة علشان اتعرف عليها ، إحساس انى واقف مكانى مبتحركش وفاقد الأمل ، والعصبية الزيادة اللى اتحولت مليون فى المية وشربى للسجاير وأنا آسف هتكلم معاك بصراحة .

استمع لى الدكتور خالد أكثر من ساعة ، واهتم بنظراتى وحركات يدى ولفت نظرة كثرة العصبية .

– بص ، دى مرحلة عادية وطبيعية وانت لازم تعديها وتبص لمستقبلك ، وازاى يبقى عندك المرونة والقدرة على المحافظة عليه ، أنا بعاملك زى ابنى ، وبعيد عن أى حاجة وإنى دكتور أنا هنصحك كأب ، أى تجربة أو أى فشل يقدر يسيب عندك بصمة ممكن توقف حياتك أو تتعايش معاها أو تمنعها بس الشخص الطبيعى والمتعلم واللى مستقبله بيرسمه وبدياته مبهرة عارف أزاى يحافظ عليه من أى

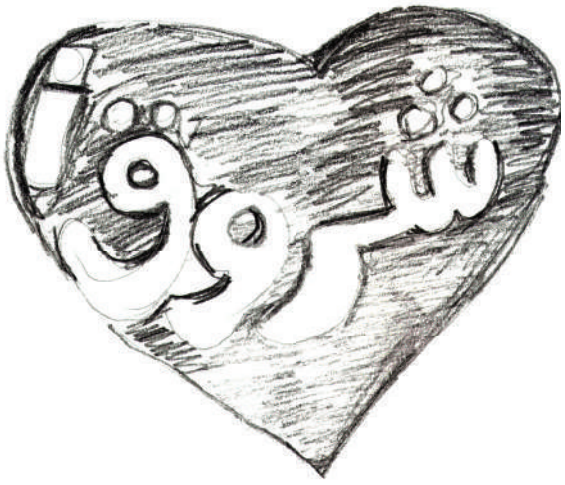

ضرر، فى ناس صحاب انفس ضعيفة ومعندهمش إرادة لمنع الخطأ يدخل حياتهم، ناس يستغلوهم أصحاب نفوس شيطانية، ويدخلوا حياتهم وبعد كدا يعرف ازاى ويقدر يستغلك ويدخلك نفق طويل مظلم صعب الخروج منه، مش بكلمك عن المخدرات بس، يقدر يستغلك فكرياً ويستغل نقط الضعف ويبين إنه يقدر يحلها وهتروح دنيا تانية معاه، والحاجة التانية كتر التفكير فى أى موضوع هيوديك وهيخليك تسأل نفسك أسئلة ومن سؤال لسؤال وتدخل فى متاهة وأزمة نفسية وعصبية.

دى مرحلة عادية وكل اللى فيها إنه فشل معنوى لا أكثر، ولازم

ميطورش الموضوع علشان ميبقاش فشل مادى ، ومتحطش اى حاجة فى دماغك وتتعامل معاها كمشكلة بسيطة متملاش حياتك كلها وأنا عارف إنك قوى وتقدر تتحدى أى حاجة وعارف إن مفيش أى حد بسهولة يدخل حياتك ، ومفيش أى حاجة عندك خالص ، الدكتورة حسستنى «هههههه» إن فى مصيبة قلب أمهات بقى ، وواحدة واحدة تتعرف على أى حد مش لازم شخص معين وأتعامل مع الحياة ببساطة وبشكل طبيعى ، ولو عايز أى استشارة عايز تقعد معايا ابقى كلمنى وربنا يوفقك .

– شكراً يا دكتور وعارف قد ايه انت بتحبنى وقد ايه ثقتك فيا ، وشكراً لكلامك اللى كله امل وتفاؤل . . وأنا كنت محتاج أقعد مع حد فاهم واتكلم معاه بصراحة اكتر واكتر زى كده .

اتبعت حديث الطبيب ، فهو لم يكن أول حديث وعلى كل حال بدأت التفكير بإيجابية وبعقلانية وتذكرت كلام مصطفى حين قال لى مرة أن أحدثها وأبدأ التعارف عليها بطريقة جيدة وظاهرة وليس بطريقتى أنا (المفاجأة والسريعة) .

وحاولت ، وكان الرد كالسابق ، وهرولت وراءها وناديت عليها فلم تهتم ، أعلم إنه إحراج لها بأن أنادى عليها بالشارع وأوقفها

بدون وجه حق للتعارف وأعلم أن أصحابها روتينيو الطبع تقليديون فضلاً عن عدم المشاركة لا بحديث ولا بشيء، سألت نفسى ما هو السبب فى هروبها منى أهو خجل أم خوف من صديقاتها؟!

وكالعادة انتظرت يوم الأحد لأراها، ولكن هذه المرة لم تظهر، وبانت حقيقة أنها بالفعل السبب الرئيسى لمجيئى وانتظامى بالدروس، أرى أصدقاءها المقربين بدونها، تملأهم الكآبة فهى كانت الضحكة فى نظرى أنا، وهم فى الحقيقة لا يحبون الخروج عن التقاليد والأعراف وهى مثلهم. أسئلة تراودنى، وأولها لماذا لم تأتِ؟!

وبدأت رحلة السير فى طريق البحث عنها، أريد إيجادها، أبحث عنها فى الشوارع وأماكن الدروس، أريد أن أجدها بأى مكان. . . أخاف أن يكون الأمر مجرد ذكريات، لا أريد أن يحدث ذلك.

يآس

من الصعب أن تتعلق بشخص لا تراه ومن المستحيل رؤيته حتى ولو بالصدفة ، تعلم كل العلم إنك فى الحقيقة لا تعلم عنها شيئاً أو بعض التفاصيل فكل ما تعلمه هو اسمها ، الأول فقط ، وسيطر هذا الاسم على حياتى ، إحساس غريب ينبض فى قلبى . . . لن أحكم الآن على نفسى .

إنها وهم خلقته من رحم فكرى ، تعبت من كثرة البحث ومللت من السؤال عليها ، سألت فى كل الدروب . . فمن الممكن أن يعرفها أحد ، لم أقصد من يعرفها حقيقة بل سألت الجاهل بها . الكل صامت أعتقد

أنهم ينظرون لى بشفقة ، فأنا أبحث عن شخص لا معلومات عنه فأصبح السكوت سيداً للموقف من الجميع .

لم أتذكر كل ما حدث لبحثى عنها ، سيطر حلم البقاء ولتأكدى أن الرحيل والبعد من المستحيلات ، بل أعتقد أن القدر معى دائماً ، وأن بإصرارى سأصل .

اتصلت بدكتور خالد أريد التكلم معه ، أكثر واحد أشعر أنه صديقى وأخى فى نفس الوقت ، أحب حديثه ليس فقط لما قولته بل لعقلانيته بالمواضيع وعدم غلق أبواب الوصول وعدم تصدير الانهزام . وبسعادة فى الترحيب ، جلسنا وتحدثنا فى جميع الأمور ، لأخذ رأيه فيما أفعل وما سأفعل ولكن رأيته يريد أن يرى نتيجة تجربتى بل ويشجعنى بسكوته وموافقته على إصرارى ، لم يتحدث وظهرت ابتسامته فقط .

الإصرار صفة من صفاتى ، عندما أحب الوصول وأعزم عليه أصل حتى ولو لم يكن كاملا أو التحقت بآخره او بدايته ، المهم أننى أصل ليس غروراً بل إرادة وإيمان بقدرة الله .

وبقيت الأحوال على حالها وتباطأ الحماس قليلاً ، إلا يوم لقائها من جديد بمكان الدرس ، لن يفيد تعبير «تجمد الكلام» فمن الممكن وصفه بشلل فى اللسان بل شلل فكرى ، لكن قلبى ينبض وعيناى ثابتة النظر لا ترى

غيرها ، إحساس أن ترى شخصاً غالياً عليك وأصابتك استحالة رؤيته وفجأة تراه وبكل ذهول تملأ عينيك منه بعد طول فراق من تحب رؤياه ، يملأ عينيك بكاء جاف بدون أصوات .

أسمع عن حب الأعين وعرفته الآن ، أشتم تفاصيلها الغائبة وأنا سارح بها وكأن لا أحد يرانى فى قاعة تتعدي٩٠ طالباً وكأنى لا ألفت الأنظار إلىَّ وأنا ملتفت لها ، أسمع صوت أحدهم ينادى اسمها وفجأة أسمعه بثنائية لم أصدق وقتها أننى سمعت ما أريد سماعه وبحثت عنه وفشلت وقتها ، يمكن أن يتساءل البعض لِمَ لم أبحث عن أسمها كما بحثت عن رقمها ، أو بحثت بالرقم الذى معى من خلال الوسائل الجديدة مثل truecaller ، لم أترك سبباً أو طريقة للوصول إليها أو لاسمها أو لتكملته ، فشلت .

هذا النداء يمكن أن يكون رسالة ، إحساسى إنها رسالة لتكملة البحث ، وانتابنى شعور الرحيل وأنها الرسالة الأخيرة لها بهذا المكان . . . لا أعلم لماذا ، فما أتمناه رؤيتها فقط .

أبحث عنها بالطرق المختلفة لأجدها بأى وسيلة للتواصل الاجتماعى ، وجدت آلافاً يحملون نفس هذا الأسم وفشلت فى البحث .

لن أمل الانتظار والبحث عن تفاصيلك فى كل مرة ، ولا أبالى لما حدث وما قد يحدث ، أبحث عن من أحبها ، هى الوحيدة التى أحبها قلبى وعقلى

وروحى حتى ولو عنوانها مجهول.

شككت بنفسى وقولت إن الفشل يمكن أن يكون من جانبى، اتصلت بأحد الأصدقاء بكلية الحاسبات والمعلومات وهو خبير بعالم الحاسوب وتأمين الحسابات والشبكات.

– محسن أخبارك يا باشمهندس، كنت محتاجك فى موضوع مهم بالنسبة لى ونقعد مع بعض بالمرة وندردش.

– حاضر... أجيلك ولا تجيلى

– لا تعالى.

تعجب محسن بعد مجيئه لاعتقاده أنه سبب تافه، وكان حديثه لى لمعرفته بى أن مثل هذه المواضيع لا تشغل من حياتى خانات، فهو من أصدقائى المقربين ويمكن أن نخمن أنه أعلم بحالى من كثيرين وبطباعى بوجه الأخص، وطاوعنى محسن مثل الآخرين ليرضينى... بدأ بأكواده وبرامجه فى البحث بالأحرف الأولى والاسم، وتأكدت وقتها أننى فعلت ما بوسعى ولم يكن الفشل عنوانى فقد فشل محسن ولم يستطع إفادتى.

بين الطريقين

أمشى فى شبرا بكل شوارعها وأزقتها بدون مبالغة ، بدأت من جديد فى

وسط الطريق بجانب أعمدة الإنارة بين الطريقين بهذا الشارع الطويل «شبرا» وأحببت هذه الرحلة ولعلمى أنها تسكن هنا ، وتأملت معالمها من بداية مدرسة التوفيقية وجامع الخازندارة ومعمارها القديم وناسها الطيبين وجوامعها المتلاحمة بالكنائس ، وأكشاك الصحف والقهاوى البسيطة التى تشعر بالطمأنينة وسط كل هذا ، تذكرت لعبى وفرحى وحزنى فى كثير من الأماكن .

وتبدأ هذه الرحلة كل يوم ، أذهب للدروس عند مشاهير المعلمين لعل الحظ يكون فى صفى لأراها .

أشعر بأن المشى لا يفقدنى الأمل ويعطينى طاقة البحث مجدداً حتى أصل إليها أين هى؟ سؤال ينتابنى من بداية هذا الشارع!

وتدور الرحلات والأيام حتى أواخر هذا التيرم وقرب الامتحانات ولم يتبق إلا أيام معدودة وليست أشهر وأنا لا أملك شيئاً ، لا أملكها ولا أملك حتى نجاح دراستى . . أتمنى لو كانت معى وتشجعنى فهذا ما أنتظره والآن ماذا كسبت؟ سأنتظر لعل الله يأتى بشىء ويوصلنى بها ، أريد معرفة حقيقة هذا الحب وأكررها وسأكررها أريد أن أفيق وأسمع لماذا أحببتها !!!

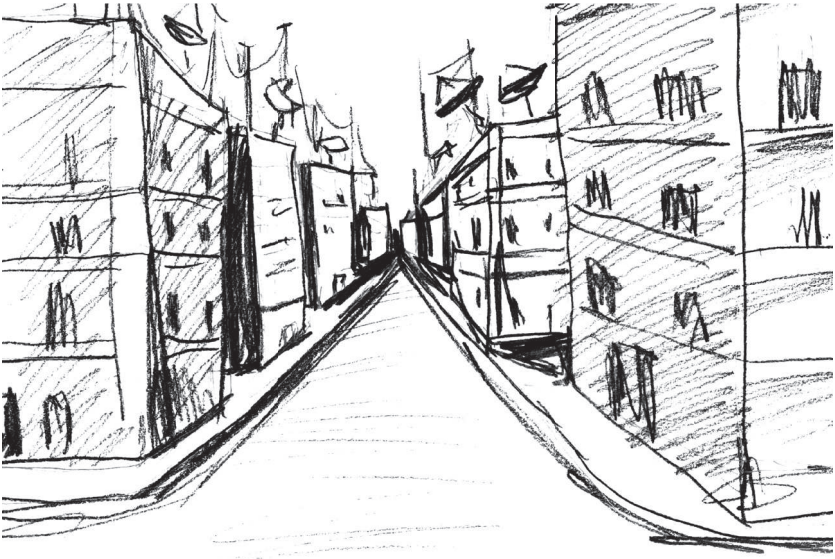

حديث كل المقربين لى لماذا تحبها ومن ضمن حديثهم «لا هى جميلة ولا هى بادلتك الحب»

وكان ردى عليهم : لماذا تحبنى أنت فإن وجدت ردا لحبك لى فأنت تتصنع الحب والحب أعمى لا يطرق بابا لاختياره لمواصفات عقلية بل هو شىء جنونى .

أحسب أيام لقائها واعد الثوانى والليالى والأيام ونهار الأيام والأسابيع حتى أن وصلت الشهور .

وتذكرت فقرة قرأتها من كتاب العالم مصطفى محمود

أن مشكلتك ليست سنواتك التى ضاعت ،

ولكن سنواتك القادمة التى ستضيع حتماً

إذا واجهت الدنيا بنفس العقلية .

أحدث ليلى وهذا القمر الساطع بنوره أحدثه :

أريد رؤيتها ولقاؤها وأدعو الخالق الجميل والرحمن والرحيم أن يرحم أشتياقى إليها وأعلم أن الله يقدر ما يشاء وما يحتسب لمصلحة عبده وأؤمن بقوله «وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم» ، صبرنى القدر على علمى لثبات ما يكتب وأنه آت آت إليك .

كاد أن يرجع الحب لوهم من جديد ، صليت فى أحد جوامع شبرا هذا البيت الذى يسكنه الراحة والإيمان نعم أنها بيوت الرحمن وختمت صلاتى وأنا أمشى شاهدت سيدة تأكل هى وأبنها من الأرض . . . تبرعت لها من فضل الله ونزلت دموعى وتوقفت لصدمة ما رأيت ولمت نفسى على أننى أختصر مشاكل الدنيا فى مشكلة صغيرة وأنا لا أعلم مأساة الآخرين ولمت نفسى لمرات ومرات . . . هل أعطانى الله نعم وأنا أبخل عليه بشكر وتجليل وجهه وأصبح «الهم» طافياً يسيطر على كل شىء . . . . نعم فلا الهم باق ولا الندم باق على شىء ، يا الله أخرجنى من همى هذا . وقتها تذكرت كتابات وأقوال الدكتور مصطفى محمود هذا العالم الجليل ذو الروح الباقية فى كل كلمة قالها لأنها حقائق وليست كتابات للمبيعات .

والحكيم هو من أدرك أن كل ما يصيبه .

داخل فى المشيئة الإلهية ومعلوم بها ،

فأراح نفسه من البكاء على ما فات . . .

والقلق على ما هو آت

وذهبت إلى منامى وأنا مستريح البال بعض الشىء وقولت لنفسى سأعطيها فرصة أخيرة للسكون والذهاب بعيداً حتى أكون مقتنعاً بما أفعل .

أصبح الطريق عادة الآن وتطفو عليه الراحة ، أرى من خلاله حقائق لم اعلمها بل الأصح فى التعبير أرى أفعال الناس وحياتهم وبساطتهم .

وكعادتى أمشى فى وسط الطريق كنت أفكر وأقرر البعد عن رغبتى فى الوصول إليها ، وأحدث قلبى ماذا ستفعل وتقول حين تراها !!

الصدفة

وكان للقدر حكمة أن أغير عادتى وأنقل رحلتى إلى يمين الطريق وما جذبنى إليه عطشى لطول الطريق «عصير قصب وأيس كريم»، وأنا أشرب رأيتها وكأنى فى فيلم الآن . . .

بنظرات اشتياق ولهفة أملأ عينى منها من طول انتظار على أبواب حبها، دمعات تملكتنى، ضربات قلبى تزيد وتزيد ويسقط من يدى كأس العصير البارد . . . تنظر لى بغرابة وكأنها تتساءل ما هذه الصدفة لأراك، وظل أصدقاؤها ينظرون اليها بنظرات فيها الحيرة ونغزات لها حتى يفهموا ما بها .

ما جعلنى أحزن رؤية جناحها المكسور، يدها مكسورة معلقة بحمالة فى رأسها، أود أن أسلم عليها واسألها عما بها، أشتقت إليك . . . هذا المنظر السينمائى الذى لم يتعدى الثوانى والناس تنظر الى . . . .

لا أريد الانتظارأكثر، أريد أن أمشى لأرد على سؤالى هل انا رأيتها أم أنا أحلم من كثرة تفكيرى بها وهل أوهمنى قلبى بشبيهتها !!!

ظللت أراقبها وهى لا ترانى إلى أن تأكدت أنها حقيقة، وكانت الصدفة العجيبة أن أراها فى يومى التالى وهى تلهو كفراشة فرحة ترسم وجهها الضحكة والأمل . . نعم أنا أقرأ معانى الوجوه .

أنظر لحالتى مقارنة بحالتها الفرحة ، لا ألومها فهى لم تعدنى بشىء وأنا لم أصارحها ، أتمنى لها الخير و السعادة والفرح والنجاح حتى إن لم تكن لى ، أحبها بدون أسباب ، أعشق ضحكتها .

دائما كنت أضحك على الناس بمقولتهم «إن الحب من أول نظرة» وقتها ردى لهم بأنه كلام أفلام لا أكثر ، والآن تأكدت أن هناك حبا من أول نظرة يصبح خالدا فى الذكريات ، انها حقيقة فالحب لا يطرق أبواباً ولا ينادى أصحابه بميعاد فهو يأتى لحظة ، لحظة جميلة كلها اشتياق تسمع قلبك بنبضات اشتياقه .

– هو أنت اتحولت شاعر ولا ايه . . . مالك انت كل شوية بحالة !

سؤال استفهامى ، لم يعلم صديقى مصطفى بما حدث ، وأنا أحكى له عن

الحب والامل ورؤية الحبيب .

– لا ياعم مصطفى أصل أنا شوفتها !!!

– «شروق» صح . . عملت ايه يعنى؟

– أنا فرحان إنى شوفتها بس ، وكمان مرتين .

– هههه ، ، ، احكيلى ، اتكلمتوا يعنى .

– لا خالص .

– أمال فرحان ليه يعنى !!!

– يا عم انت عايزنى اقطع فى هدومى ولا ايه ، سيبنى بقى سرحان شوية وهحكيلك بعد كده . . .

أحلم وأنا مستيقظ حتى ولو أحلام اليقظة ، أحلم بفرحنا والحب يجمعنا لآخر العمر ، وتيقنت كيف سأصل لها ، يجب الآ ن أن أرى الوضع صحيحا ، وقررت للمرة الأخيرة البعد عن هذا الشوق والمستحيل أن أصل اليه الآن بهذه الظروف ، ويمكن فى نفسى تجربة أخيرة للبحث عنها على «الفيس بوك» هذه الشبكة العجيبة وأكتب اسمها حتى لا ألوم نفسى فى المستقبل لكسلى وعدم وصولى إليها .

الساعة ٢ فجراً

أكتب اسمها . . . . . .

صورة تشبهها وهى صغيرة ، أنظر وأتأكد منها هى أم لا ، أخاف أن يكون النوم قد اثر على ولا أستطيع التمييز .

هل صدفة أن أراها؟ وأيضاً صدفة أن يظهر حسابها القديم وتعلق لها إحداهن

باسمها على هذه الصورة لتظهر من أجلى !!!!

اتصلت بمصطفى . . . لأتأكد من صحة الصورة

– عايزك تحلف الأول إنك هتمسح الصورة اللى هبعتهالك . . .

– ليه انت مالك فى ايه !!

– والله همسحها . . . حاضر!! بتاعت ايه الصورة وليه تحلفنى مش عيب؟

– لا دى أمانة وهخليك تتأكد منها وتشيلها زى ما اتفقنا ، افتح الواتس آب

– حاضر . . . .

صورة ، بفستان أبيض ملامحها فيها وابتسامتها وشعرها الجميل وفرحتها حتى بهذه الصورة الجامدة ، أنا نفسى لم اتخيل كيف وصلت لها . ولم تمر الثوانى ورد على

– ايه ده دى شروق ، أو شبهها .

– لا والنبى هى ولا مش هى .

– هى هى ، جبت صورتها منين!!!

– أنا لاقيت الأكاونت بتاعها وحوار طويل هبقى احكيه لك لما نتقابل .

– خش كلمها . . . .

– هفكر ونتكلم الصبح .

كأنى وجدت الكنز الذى أبحث عنه وسقط على من السماء ، لا أعلم ما حدث لأجدها . ووقتها إن خيرونى بالبعد إعطائى مال الدنيا سأرفض ، سأرفض بشكل مؤكد لأنها رسالة ، رسالة بحق .

وبات الفكر يلازمنى ليل نهار، وزاد التفكير أكثر وأكثر عن السابق. . . ماذا سأفعل الآن !!!

حلم عجيب وغريب فى منامى. . . رأيت أننى فى منزلى وعلى رأس شروق وأحد أصدقائى، حمام أبيض يطير من على رأسهما أو ثابت.

جلست أفكر وأتأمل معنى هذا الحلم، أبحث عن تحليله وتفسيره على الإنترنت فلم أجد أى أجابة !

اتصلت بأحد معارفى، يعلم من يعرفه أنه من غواة أمور الروحانيات ويجلس بالأماكن المباركة بالحسين وهكذا وأعلم أنه من أحفاد سيدنا الحسين رضى الله عنه ويصل لجده المصطفى، وبعد سلامى له والذى لم تربطنى به أى صداقة أو كلام. . . قصصت له ما حدث وأنهيت المكالمة وكلى انزعاج وتغيرت نبرة صوتى فما قاله لى صعب علىّ، فكان تفسيره للحلم «انى سأخسر صديقى و لن أصل لمن أحببتها».

هما الاثنان عزيزان على، قلبى فهو صديق العمر وأيام الطفولة ورفيق البطولات بالنادى، وهى الوحيدة التى أحبها قلبى ولا أعلم لماذا جمع الحلم بينهما فهو بالشرق وهى بالغرب، ورأودتنى الأسئلة هل سأخسر من أحب، إحساس فظيع لا أستطيع كتابته وسرده بالموسيقى الحزينة التى أسمعها.

وكذبت حلمى هذا وتفسيره حتى، وأنا أعلم على قدر علمى الضعيف أن الأحلام ليست من البدع فلا هى قراءة الفنجان ولا الكف، وما يثبت كلامى ذكر الأحلام بالقرآن وما حدث لسيدنا يوسف الصديق.

وعشت أيامى وكأنى لم أحلم .

وأستعد الآن لأجهز حديثى معها وكأنى لا أعلم ما هو الحديث بل لا أعلم لغة الحوار ولما تتشابه الظروف كل مرة ولا أستطيع النطق والتفكير ، أريد أن أشرح لها مدى حبى وما فعلته من إحراج اليها ، أستطيع إصلاحه وتعديل صورتى أمامها فمن الممكن أن تفهم وتفسر مواقفى معها باعتبارى معاكساً أو مضايقاً لها متطفلاً على خصوصياتها ، بصورتى الأولى أمامها التى شاهدتنى عليها .

ومن ضمن التفكير هل أرسل لها من حسابى أم حساب مستعار باسم آخر وأن يكون ساترا لعدم أحراجى ، بل والأكثر أن لا أفصح عن هويتى حتى لا تهتز صورتى أمام نفسى وأبقى مهزوما أو أن تكون مرتبطة وأفصح لها عن حبى فأجرحها وأجرح مشاعرى .

أعلم أنها رقيقة القلب طيبة . . . . سأحاول .

خطوة جديدة

حسابى المستعار الجديد جاهز الآن . . . وبدأت البحث عن حسابها الجديد حتى وصلت لبابه ، من صعب الوصول إليه «الاسم الاول وأحرف أولى» وهكذا . . . والأهم إننى وصلت إليه لا يهمنى الصعاب ولا الوقت . . .

أتذكر حلمى المخيف الآن . . . هل أهتم و أقف ، أم وصولى رسالة أن تستمر ، تكابرت على تصديقى له وفهم معناه وعزمت الوصول إليها ووضعت فرض أنها رسالة . هى تغلق كل وسيلة للتواصل معها (صداقة ومراسلات وحتى بياناتها) لعلها تخاف من المتطفلين . . . أشعر أن هذا حسابها فقلبى أرشدنى له ، حينها لم يسيطر على القلق بأن يكون الحساب الخطأ .

وصلت لطريقة لكل أصل لأحدثها . . . أكتب وأكتب وأحكى كأنى اشكو لها ما صار بى ، حديثى الآن يظهر مدى حبى . . . لم أجعل بدايات للحديث ، لا أعرف جماليات الكلام وتحسينه كعادتى ، خلقت هكذا ، أحب أن أوضح الأمر ومراده بدون مقدمات .

– وصلتلك بعد وقت طويل أووووووووى ، كان نفسى أشوفك واحكى معاك وأشكيلك وأبين حبى ليك ، حبيتك بزيادة وأكتر من اللازم وكأنه أول حب وهو أول حب فعلاً ، ميهمنيش ردك فانا اتمنيت أوصلك وأعترف بحبى ، انت متعرفنيش بس أنا أعرفك وبدور عليك كل يوم ، وعارفك . . رسمت فى قلبى تفاصيلك وأوصافك ،

عينى حفظتك، مش داخل أضايقك أو أعاكسك أو أرخم أو اتسلى . . . داخل احكيلك وأشتكيلك وكأنك حد من أهلى وحبيبتى من زمان أوى وبعاتبها، ضيعت حاجات كتيرة من حياتى بسببك والأصح بسبب حبى ليكى، ومقدرش ألومك فى حاجة . . . بس أنا نفسى تكونى حبيبتى اللى تساعدنى وأقدر بسبب وقوفك جانبى أنجح إحساسك معايا على طول، عمر ما غابت صورتك عنى، أقل كلمة ممكن تخلينى أدمع أى اسم يشبهلك، بيفكرنى، أى أغنية برسم صورتك فيها، ده أنا كنت فاقد الأمل إنى أوصلك بس ربنا يقدر اللى فيه الخير.

وقت طويل من الانتظار . . .

وضعت مقارنة كيف تحول التواصل الإجتماعى الإلكترونى بديلا للرسائل الورقية.

ومن طيلة الوقت وضعت ردود منها وكأنها امامى، إما بالتجاهل أو بالحظر أو بالرد ولكن ما فحوى هذا الرد.

ومر ثلاث ساعات وأنا أتابع وأفتح حسابها ثانية بثانية لعلها تجاهلت رؤيتها . . . أنتظر سماع صوت الرسالة.

وفى اليوم الثالث مللت من الانتظار وعلى سهوة جاء الرد، والأشكال إن درس الإنجليزى اقترب ميعاده وأنا لا أهتم لا بدرس أو غيره وأريد فتح الرسالة التى أخاف قراءتها . . .

- مين؟!

- متعرفنيش؟!

- طب عايز ايه؟!

– بحبك

– عايز ايه برضه؟

– أنا مش عايز أتعرف عليك، أنا عايزك تكونى . . مش عارف أزاى أقولها حاسسها رخمة فى الكلام وممكن تستخفى بها من سهولة قولها . . . أنا عايزك حبيبتى طول العمر .

– عمر؟!

نزلت صاعقة وإحتوانى الصمت، تمالكت نفسى ورددت :

– ايوة انا

أنا اللى حبيتك من بعيد، أنا اللى دورت عليكى فى كل حتة . . . صورتك عمرها ما فارقتنى، أنا اللى ميأستش إنى أوصلك، انا اللى الناس عرضتنى كتير علشان حبيتك، أنت دنيتى الجديدة، أنت الحلم والمستقبل اللى بدور عليه، أنت الى أتمنى أموت وتكونى معايا وانت اللى أتمنى وأنا ناجح تكونى معايا، انت الحاجة الوحيدة اللى بدور ليها على حاجة تقنعنى ازاى حبيتك .

– أنا مخطوبة وبعد إذنك ياريت متكلمنيش ولا تضايقنى .

صدمة أخرى جثمت على صدرى، هربت من لحظة البعد الأبدى، لعل التدخين يفرغ ما بداخلى ويتطاير الدخان ومعه أعقاب السجائر تترامى، لم يكن على إلا سكوت، سكوت مميت أفكر فى البعد . . . وأفكر فى حظى، ماذا سأفعل؟! وأتى صوت الرسالة . . . لا أحب الوداع لا أحب قطع صوت الحب لا أحب خفقان القلب، قيمة الثانية فى الكلام ليست ثانية بل آلاف الثوانى لتتعدى الدقائق والحب كذلك ننتظره ونعتقد أنه تبقى القليل ولكن المسافة بعيدة ومن جنانى أعتقدها ثوانى .

– سلام

لا أحب هذا السلام، سلام الوداع، سلام البعد والانهيار.

وقطع حالة الحزن وعتمة الإحساس، ميعاد الدرس. .مرهق وكلى تفكير وما يورد على عقلى . . .ماذا سأفعل. . .ماذا سأقول. . .أريد ان أشبع منها بعد عطش !!

لا أريد قول سلام إلا بعد حديث مطول معها.

– أكتبلى حالات قاعدة «F»

– وبعد ده كله. . . تروح وتمشى بسلام بارد ملوش معانى ولا أوصاف. . حبيتها والله

– ايه ده ! هى قاعدة «F» بتتكتب بالعربى ولا ايه !!! ورينى ورينى، حبيت مين بس ياريت تحب «F» زى ما بتقول وركز ولا أقولك أنا اتأخرت على ميعاد درس، لازم تتعدل وهتسقط على النظام ده والمرة الجاية أنا هبلغهم وميبقاش أهلك طالع عينيهم وبتاخد درس لوحدك فى البيت وتيجى انت تلعب.

ومرت ساعة وأنا أضع رأسى على كتب الدراسة ، وتتساقط دموع ندم وخجل ، خجل النفس ، دموع الفراق والأمر الواقع .

ولبرهة . . . همس شيء بنفسى أن ما قالته كذب أبيض وتكذب على لخجلها منى .

– شروق . . عايز اتكلم معاك شوية لو ده مش هيضايقك .

– نعم . . عايز ايه !!

– أنت مخطوبة بجد ، ولا حوار ومسترخمانى .

– مخطوبة وأيه الى مضايقك وهحور عليك ليه يعنى أنت ايه بالنسبة لى .

– حاجة !ومضيقاك!!، لا مش مضايق ولاحاجة ، ربنا يخليكوا لبعض ، وأنا مش عايز أبقى حاجة .

– ليه هو انت عايز تبقى حاجة ولا ايه .

– أتمنى بس خلاص .

– فكك من الحوارات دى . .

– ماشى ، ممكن تفتكرى إنى كنت بضايقك ساعة الدرس فلو زعلتى . . آسف

– انت الله يخربيتك . . .

– ليه بس .

– أحرجتنى قدام صحابى ، وقدام الناس بتوع الدرس .

– قصدك على الهدية هههه .

– اووووف . . ايوة .

– أنا بقى استلمت تحفيل من العيال اليوم ده .

– عيال!!!هو فى حد عارف .

– لا خالص .

– لا والنبى .

– بصى هو للأمانة كام وأحد بس هم يعرفوا إنى عايز أرتبط بيك لأنى بحبك .

– بحبك تانى!!! انت مش بتزهق . . . بقولك مخطوبة .

– أنا ضايع فى كل المواد بسببك ومعرفش أى حاجة .

– ذاااااكر ، مفيش وقت .

– أنا مبسوط جدا ومتعرفيش قد ايه اللى بيحصلى لما بكلمك .

– مش هينفع نتكلم أكتر من كدة .

– ليه بس !!

– عندك الرد فوق موحد يا ابنى .

– أنا مش ابنك وعرفنا خلاص

– طب بص ، هساعدك لله فى لله وأن شاء الله تنجح فى الثانوية .

– ياريت .

– سلام بقى الساعه ٢,٥ وأنا عندى لو شافونى مش بذاكر بيبقى حواااااار

– سلام .

اللقاء

ومرت الأيام، كنت متأكداً وقتها أنها تحبنى، والدليل تأكدها أننى عمر، لابد من الاعتراف مرة أخرى.

حياتى تغيرت وعادت الضحكة وبدأت المذاكرة.

– هو مين خطيبك ده؟!

– عايز ايه منه

– بندردش. . . مش صحاب ولا ايه

– اه. . . افتكرتك هترجع تانى بحبك والشغل ده، محمد هو فى كلية تجارة

– بتحبيه على كده؟

– روووووووحى

– ربنا ياخده.

– ايه.

– ربنا يخده، شكله عيل رخم أنا حاسس بكده.

– سلام.

– طب ايه بس. . بهزر.

– هو أنا ينفع اشتم اللى بتحبه.

– اه أصل اللى بحبها حمارة بعيد عنك . . ادعيلها ربنا يشفيها .

– لازم نذاكر، نشد، هنقضيها شات . .

– ماشى

– اقفل ونبقى نتكلم بعد كدة؟

– اوك

اقترب منها كل يوم عن سابقه والحب يزداد أكثر وأكثر، لم يصبح الموضوع عشقاً

فقط بل تعلق وروح ملكتنى حتى النخاع، عجيبة وغريبة ولكن أحبها، أعمل أى شىء حتى ولو السبب تافه لأحدثها، تعلقت بها لدرجة الجنون، اعلم انها حبيبتى، هناك شعور غريب عند التعلق بأحد ينسى نفسه ويتذكره هو فقط، من الممكن تتكلم فى أى شىء، حتى ولو لسبب تافه حتى يسمح لك الوقت بالبقاء معه.

تماشيت مع الأمور وبدأت تندمج فى حياتى وإندمج فى حياتها، لم يقف الموضوع عند كلمة أصدقاء بل كانت وراءها مشاعر كبيرة...

وجدت رسالة وأنا جالس مع أصدقائى على مقهى فى إحدى حوارى شبرا، فوجئت من هذه الرسالة العجيبة برقم هاتف.

- ٠١٠ ... ...

- ايه ده

- انت فين

- ع القهوة مع صحابى

- ابقى كلمنى ضروري

تعجبت وزاد الاستغراب استغرابا.. ما السبب؟!

كنت فرحا ولكن قلقت، قلقت عليها وزاد الفرح فرحاً بان اسمع صوتها، الملائكى والحبيبة، لا أعلم ماذا فعلت لكى أجرى وأصعد فوق منزلى وأتحدث معها وأبعد عن أى إزعاج حتى نبرات صوتى كان بها الهدوء والطمأنينة والسكون، نعم تغير حالى وغيرت طباعى حتى مع بعدها.

- ألوو.. شروق أزيك عاملة ايه.

– تمام الحمد لله وانت .

– الحمد لله ، فى حاجة ولا ايه؟!

– أنت جبت الأكونت بتاعى منين؟

– هحكيلك بس أيه وقته .

– عادى

– ممكن تقولى عليا مجنون او كداب

– لا كداب

– هههههه ماشى ، صدفة بعد أما قلبت الدنيا عليك وعلى الاكونت بتاعك ولا لأقيكى ولا الاكونت حتى ، فقدت الامل فيكى خالص لحد أما شوفتك صدفة ، فاكرة عند بتاع العصير .

– اه صحيح ، ما انا شوفتك كنت بتبص جامد اوى ، ومالك كنت مبرق ليه؟!

– عينيا كانت واحشاك .

– هبقى أكلمك تانى عايز حاجة .

أيام جميلة ، لم أعش مثلها ، فرحان وفرحى مثل الطفل يمسك شيئا ويحبه بكثرة وسعادته بيها لا أحد يصدقها ولا يعلم مداها ، من كثرة ما هو يقدر قيمتها .

كل شخص وله مقياس وكل شخص له شكل لفرحه وشكل لحبه ، فى يوم رأيت صورة لها أصابنى الجنون وقررت أن أقابلها وأطلب أن تعطينى أى تذكار منها ليكون ذكرى تلازمنى دوما .

ومع ذلك كنت لا انتظر منها هدايا فتكفينى كلمة أحبك .

قابلتها وسبحان من خلق، كانت فى عينى أجمل جميلات العالم وهذا الكون، صاحبتها صديقتها وسلمت عليها وهى يملأها الخجل ووجهها يكثر احمرارا كل فترة، كنت مثرثراً فى كلامى غير منتظم فى حديثى.

هى كانت حلماً بعيداً.

أخذت السلسلة وبها حرف «S»، الذى طلبته منها فقط حرف لم يهمنى قيمته المادية فما همنى انه منها وبيدى مثل ١٠٠ مليار جنيه، فقيمة الأشياء بمعنوياتها.

من أحسن لأحسن لنفسى ومعها واندمجت كلمة أحبك فى مزيج كلامى...

– أصل أنا سيباك براحتك مش هرد، ومبتكلمش مع حد من الأساس الإ لما يكون حبيبى وبين قوسين «خطيبى».

– يعنى ايه دلوقتى.

– مش عارفة.

– بص أنا خايف أكون بحلم كده وخلاص.

– روح نام.

– لالالا... لو دى حقيقة عايز ابقى صاحى دايماً.

– نتكلم بعد كده.. سلام.

وتعددت السلامات وكانت تهرب من الكلام لا تريد الحديث المطول حتى لا تفصح عما بداخلها، ودخلت أمى وهى تستغرب من استيقاظى المبكر هذا.

– لا بذاكر يا أمى

– بتذاكر!! غريبة، طب ورينى كده... ربنا معاك يا حبيبى

- يارب أنا واللى بحبه

- كنت بتكلم مين أنا سمعاك

- شروق الـــ«S»

- طب ركز فى المذاكرة، واحترمها وحافظ عليها وأنا ملاحظة قد ايه انت متغير، ربنا يكتبها من نصيبك وتصونها وتصونك.

- يا رب

غيرتنى وغيرت كل شىء بى، أهتمت بى أكثر من نفسى، خافت على، ولأول مرة أحد يفرق بين وقتى الحزن والفرح لدى لتشابهما، أصلحت الكثير والكثير مما فشل فيه الغير، اقول إنها سعيت حتى لنجاحى و أقول إنها كانت تجرى وتهتم لدروسى وتشجعنى على البدء حتى أعتبر البعض أن هذا لا يكون سبباً للجميل، فهو جميل بالنسبة لى.

الرحيل

ما كل ما يتمنى المرء يدركه . . تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن ، أعلم أن أصل هذا البيت للشاعر المتنبى ولا أعلم أصل ما فعلت .

يوم غريب من بدايته ، غير متفاءل ، اشعر برجفة فى قلبى وأشعل السجائر وكأن فمى مدخنة لا تنطفئ ، كلمتها وكان لدى بعض المشاكل الخفيفة ولم أنم هذا اليوم كانت طلبت منى أكف عن التدخين وعن بعض الألفاظ السيئة التى أعتاد عليها لسانى فى المزاح مع أصدقائى .

– انت بتشتم ليه دلوقتى !! مش متفقين . . . ادخل نام وياريت تبطل قرف وشرب سجاير !!

– قرف !!!

ونسيت كل شىء ، نسيت تعبى وحبى لها وحلمى . . . وفى لحظة غضب واستفزاز خسرت كل شىء . . . وزاد التكبر وأغلقت الهاتف بدون سلامات ولم أشعر وقتها انى خاسر ، تركت هاتفى ليوم واثنين أمام الثالث فزادت رغبتى فيها ولكن . . . كانت الخسارة .

لم ترد على الهاتف ولم ترد على تواصلنا المستمر على الفيس بوك والواتس آب !

استغربت وقولت (هو فى ايه) ولكن تعالت النفس واعلنت ان كل شخص على راحته نسيت الذى كان وكأنه لم يكن شيئا ، حسبتها «حدوتة مسترخمة أحوالها» انتهت فى نصفها وكان صاحبها نائما بدم بارد .

نسى أنها وقفت بجانبه، لم تتخل عن حثه وإعطائه القوة للمذاكرة والنجاح، تناسى أنها كانت توقظه من نومه، نومه الذى بات فيه شهوراً، كل ذلك لأجل مصلحته، تناسى أنها خافت عليه أكثر من المقربين إليه. . . تناسى سهر الليالى فى حبه لها، تناسى الأمل الذى اعطته له، اين كان قلبى وحنانى لم أتذكر حبى وعذابى معها!

وتقريبا كان كلامها حقيقيا فى قولها المتناثر طيلة الأيام السابقة أن هناك أشخاصاً يبيعون الكلام وحين يتعلق أحد بهم بعد رفضه لخوفه، يبيعه لأتفه الأسباب.

لكن. . .

لم أنتظر منهـــــــا هذا الرحيل، كنت أعتقد أنها ستصبر على.

لم أبع، هى من تملكتنى، فأنا لم أتعلق بأحد ولكن تعلقت بها وفى نفس الوقت لم أنس طباعى، لا أحب من يتعالى على.

أنا الكسبان الآن براحة البـال.

عينى فى عينها، لم تكن الرؤية الأولى لها ولكنها الأخيرة، تكبرت أصوات العقل الباطن ولم أذهب لها.

الشخص عندما تكن النعمة بين يديه ينسى، وأنا نسيتها فى لحظة وفى عزة نفسى هذه، ضميرى حدثنى «ده أنت وحش أوى». . وبعد فوات الأوان !!!

كلمتها أكثر من مره لم أسمع الإ الهاتف مغلق أو غير متاح، وضعت لها أعذاراً لعدم الرد يمكن أنها مريضة، حزينة مما فعلته.

انتظرت انها تكلمنى أو تلمح لأكلمها من أجل نفسى حتى لا أكون كسرتها

وكانت هذه آخر محاولاتى وحدود الصبر وكانت نهايتها كما اعتقدت. ومرت الأيام نعم أخذت حائزاً كبيراً فى حياتى ولكن زال بغضب وفرض الوقت وضعه.

رسالة ضائعة

انتهى ماراثون الثانوية، ومر أكثر من شهرين، بدأت أأقلم حياتى كما كانت وأعتبرت أنها فترة ومرت لحالها وستصبح ذكرى وتجربة، وأبحث فى رسائلى لأرى موعداً بين رسائلى و لم أعلم وقتها أن مارك أنشأ فى الفيس بوك «طلبات المراسلة» كمثل غيرى شىء جديد لم أعلمه وأرى ما جد وما هى طلبات المراسلة، رسالة. . . إنها رسالة منها دقات قلبى تنبض بقوة، وأشتاق لها وأتظاهر بالنسيان، وفتحت رسالتها. . . التى لم أرها ولم أعتقد أنها أرسلتها أو أرسلت رسالة لى كما حدثتنى إحداهن، لم ابالى ولم أشرع فى البحث.

– عمر. . . تليفونى ضاع واتمسحت كل حاجة الأرقام وغيرها (٢٠/ ٤/ ٢٠١٦)

– انا حكيت لخطيبى وكل اللى كان ده لعب. . معلش سامحنى (٢٢/ ٤/ ٢٠١٦)

قرأتها أكثر من مرة وأنا ألوم نفسى . . . لم يكن هذا خطأ بل غباء ، تذكرت نظراتها ولومها لى بعينيها ، كانت تسألنى بهما لماذا لا ترد؟

حتى هى عزتها لم تمل ، فلم تنتظر كما انتظرت وفسخت العقد بعد يومين ! التواريخ لا تثبت فقط أياماً بل تثبت أحوال ومواقف .

ولكن غبائى . . . واعتقاد فصاحة العقل وكبر النفس بدون تفكير يخسر الإنسان الكثير ، لم يكن ردى به لهفة الحب ولا الاشتياق أعتقد أنها تناست الموضوع وسأكتب لها لتعلم اننى لم اكابر لردى واريد إنني اقول لها أن حاولت الوصول والظروف هى من أبعدتنى .

– شروق . . . شكرا ليكى على كل حاجة ، انا بسببك بعد فضل ربنا وامى دخلت آداب عين شمس . . . وربنا يوفقك ويكرمك ويحقق اللى انت عايزاه ، وآسف إن كنت زعلتك فى مرة .

الموضوع كان بالنسبة لى فى الفترة هذه شيئا عاديا لم اعطى له الاهتمام ولم ابحث عن ردها فمن الممكن قرأتها أو تجاهلتها ، لا اهتم . . ودخلت الجامعة هذا المكان الذى حكى عنه قصص ألف ليلة وليلة بل آلاف الليالى ، يشرحون عن الخيال والدنيا التى لم ترها من قبل والحرية والصداقة والمستقبل .

وبعد أسبوعين لم أجد أى جديداً ، بالنسبة لى لم يكن هناك أى انبهار ، أصدقائى هم كما هم بل رأيت اصدقاء الطفولة وصديقاتى أصحاب النادى وشبرا . . .

اكتشفت أنها خدعة تحفيزية . . . للنجاح !

خداع

قررت أن أحب من جديد، وبعد منافسة الاستعراض كسبت رهان «لم يكن حباً بل رهاناً» رهان للوصول قبل الثانى من يسرق هذا القلب، رهان لتغير «المود»، مشاعر كاذبة وكلام كذب.

مللت مما أفعل لأنها لم تكن أخلاقى وانا لم أعد أحداً بحب، لعبة هى ولكن لا أكملها ومع قذارة وسوء الفكرة ومبدأها السيىء، ندمت على ما فعلت وتذكرت أن ما أصيبه فى غيرى سيصيبنى ولو بعد حين وإن أعتقد البعض أنه شىء سهل، على العكس فهو من أسوأ الأشياء أن تضحك على أحد وتوهمه بحبك وتربطه بك وانت حتى لم تضعه فى خانة بحياتك تكذب وتخدع، تذكرت بنات عموميتى فهم عرضى. . . وبعدت وبعدت عن هذه المشاعر الخبيثة الكريهة.

ولكن،

تذكرت حباً قد فات،

«وعادت ريما لعادتها القديمة»، (سجائر وفكر). . . اتصال غريب من أبى:

– ايوه يا بابا. . .

– اشترى دبلة فضة لك تكون شيك وتعالى على البيت.

وهل أخرج من لغز لألغاز، استغربت من طلبه، فلن يكون إلا هو هذا الفرض

الرخم، خطوبة ونغمة بنت عمك واللى من دمك وكلام شبيه من هذا القبيل.

مغلوب على أمرى، ذهبت للبيت فقال لى:

– حضر نفسك علشان بكرة هنروح نخطب بنت عمك، أنا كلمت عمك وبكرة هنقرا الفتحة.

– يا بابا

– لا مش عايزك تتكلم خالص، أنا عارف مصلحتك أكتر منك.

– وأنا مش بحبها ولا بفكر فى أى خطوبة من الأساس.

– روح نااام

خطبوها لى وليس العكس خطبتها وهى كانت فى غاية الفرح وكذلك الجميع إلا وجهى بضحكته الصفراء وتظهر على تصنعها... «نفسى اليوم يعدى».

– يا عزيز احنا نعمل خطوبة رسمى وهنجهز قاعة.

– خلاص الى انت شايفه يا اخويا.

– بعد... أسبوع.. على الخميس اللى جاى.

وكأنى لم يكن للى علاقة بالموضوع... سأتماشى فى الموضوع وسأفعل ما أريده، وسأترك هذه الأيام على راحتهم، سيبقى الموضوع سراً ولن أحكى لأصدقائى ولنرى ماذا سيحدث؟

حنين

مرت الأيام وحياتى روتينية لاجديد ، أريد تجربة التغير حاولت أن أجارى الأمور ، حاولت أن أحبها وتقربت منها أكثر ، كنت أخاف أن أظلمها وأخاف تتعلق بى أكثر من اللازم .

اشتقت . .

اشتقت لمن أحببتها تلك التى لم أحب غيرها .

طريق طويل وسفر وأنا أفكر بها وزادت نبضات قلبى بشكل غير

طبيعى لم يكن هذا نداء من القلب بل خطر! ولم أهتم وقتها وظللت على تفكيرى وأنا أراها أمامى، ويؤنسنى بكاء طيلة أيام ولا جديد، قررت الرجوع، مثلما قررت حبى الأول لها.

حكيت لبنت عمى «سارة» (خطيبتى) عن حبى الأول...

– عايزك متزعليش منى... أنا محبتش ولا هحب زى ما حبيت «شروق»، أنا مش هعمل برىء ولا هى أول واحدة بس دى اللى أنا حبيتها، وانت يا سارة مش مجرد خطيبتى. أنت المستقبل والاستقرار زى ما بيقولوا انت البيت، ممكن اللى حبيته زمان كان لعب عيال ويمكن كان مخى صغير... عارف إنى بعيد عنك وعارف انى مبتكلمش كتير معاكى وعارف انك زعلانة بس مش عايزة تبينى لإنك بتحبينى وأنا علشان كده بقولك اللى جوايا مش علشان أضيقك أو منظره مثلا... انا بحكيلك.. بفضفض.

مالك ساكته ليه؟!!

– لا مفيش تعبانة من المشى... يالا أنا عايزة أروح.

وجد اللوم

لا أعرف لماذا أفكر الآن ولما اتذكرها وكأنها آخر بنات العالم «أنا عرفت قيمتى بيه» عمرو دياب لديه الحق فيما قال، تقريبا أنا لم أر

نفسى إلا معها .

تفكير وحديث مع النفس بشكل متناقض «صاحب بالين كذاب وثلاثة منافق» لا أعرف أحب من وأتعلق بمن وأتقرب وأرجع لمن !!

هكلمها . . هكلمها ، هبقى أنانى من أجل نفسى

– الووووو . . . شروق : انا «عمر» ، ، ، ، ، ألوووووووووو

لم يطل الوقت . . . واهتز هاتفى من جديد أعتقد أنها هى

– مين

– انا «محمد» خطيب «شروق» . . .

– أؤمرنى !!

– احنا زى الاخوات وأنا عارفك كويس وكنت بشوفك كتير وعارف قد ايه انت جدع ، وميصحش اللى انت بتعمله !!

– أنا آسف بجد ، حقيقى معرفش ايه السبب اللى خلانى أكلمها ، وآسف مرة تانية وصدقنى لو انا عارف إنها مخطوبة مش هفكر أكلمها .

– لا . . . حصل خير ، وانت زى أخويا وعايزين نبقى نتقابل ونقعد مع بعض شوية ، ولو عايز أى حاجة أبقى كلمنى .

– ربنا يكرمك محمد باشا .

صعب إحساس الحيرة، تصل متأخراً والفرصة تضيع من يديك، هل هو عقاب من السماء. . عدم صيانتك للنعمة، أم هو شيء كان من المفترض من بداية الأمر، لا أعلم هل هو الحلم؟!

أم نسيته. . .

هذا أمر واقع، لم تكن من نصيبك وما فات قد مات ومات معه كل شيء، وهذه لم تكن أخلاقى ولن أكررها بأن يشعر أحد بأننى أضايقه ولا أحزن أحداً منى.

انسحاب

حاولت أن أمحى هذا الحب رغم أن حبها مكتوب بحبر لا يمحى وستظل ذكراها داخلى .

اقتربت من سارة لأحبها ، أعرف هذا الحب اللاإرادى ، حب مزيج المشاعر ليس له مواعيد ولا محطات وصول وإن تعددت نهاياته .

أحببتها لأنه أصبح أمراً واقعاً وحتى لا أظلمها معى خصوصا وأنها غمرتنى بحب كبير . . . لكن مع البدايات كانت المفاجأة واختلاف الطباع وبدأت معاملات الخنق والجنون المستفز ، فانا لم أحبها بالفعل ولكن كانت بذوراً وتناثرت .

حكيت مع أخى الذى لم ير أننى أحبها ولم يريد أن يقول لى لتمنيه أن يرى ما يتمناه الجميع ودار حديثى معه على انى لم أحبها أبداً ورده أنه يعلم ذلك وأنهم يرون أننى لا أهتم بها وظللنا على هذا وشعورى أن هناك شيئا غير ذلك وقررنا الذهاب لعمى وطال طريقنا إليه ، لم أفكر فيما سيقول وما سأقول له ، اشتقت اليه واحبه من كل قلبى ، نحن أصدقاء فى الأصل مع أن فارق العمر كبير ولكن حديثنا متشابه ولا توجد به مجاملات العم وابن اخيه ، طالت شكوتى إليه لكى أعلم ما يحدث ولم يعجبنى كلامه المستتر وأنا أعلم بعض ما يدور . . . وجه حديثه لأخى وأكد له أن الموضوع لن يكتمل وأن هناك شيئا آخر وراءه «مبحبش الناس اللى بتبيع على طول !!» وظهر هذا وقتما مرضت فلم يزورنى

منهم أحدا ألا ابن عمى، وإن كنت أخطأت فى شىء فنحن أهل وكانوا صارحونى، ولن ادخل فى تفاصيل مملة وكان ما باتت عليه نيتى. وتعاملت معه على أساس أنها صفقة يعطون للأغنى وللقادر على الدفع.

هاجمتنى الأفكار ولم أذق النوم حتى أعتلت صحتى ومرض قلبى وشعرت بتعب كبير واستشرت طبيباً بمساعدة أحد زملاء الجامعة وبعد ظهور رسم القلب... لم أجد شيئا بفضل الله وصعدنا للاستشارى بالمستشفى ضحك وبقوله (انت زى الفل يا ابنى شكلك «بتحب» ولا حاجه هههه بس بطل التدخين والقهوة والشاى الكتير).

ومن طبيب لطبيب لعل من سبقه ليس على خبره أو دراية وردد الأخير ما قالوه جميعاً «الهدوء» وعدم زيادة التفكير فبسببه يرتفع الضغط وستدخلنى فى دوامة لا يحمد عقباها.

الرجوع

سمعت من إحدى صديقاتها ، ليست مقربة لدرجة كبرى ، ولكن تعرف إحدى صديقاتها المقربات ، حكت لى أنها ليست مخطوبة ومن الممكن أن تكون فسخت خطوبتها فنحن لم نسمع بخطبتها !! أو حتى قراءة فاتحة .

راستلها ، كان هذا الكلام سببى الرئيسى لقرار الحديث معها ، ليس لى فى أجواء اللف والدوران وشغل الصبية أو الضحك على عقول الناس ، اريد خطبتها من الممكن أن تكون الفترة السابقة «كلمة» حب مجردة لم يكن لها روابط ، الآن أريد الاستقرار ملزماً لى ، سأعاملها كما يرضى ضميرى وامام الله فهو الشاهد على نوايای ، ستصبح زوجتى فى يوم من الأيام فمن الواجب أن أصونها .

أرسلت الرسالة الأولى إليها ، اشتقت لحديثها وطريقتها ، اشتقت لمضايقتها لى الممتعة وكلامها وإن كانت مرادفاته ومعانيه ومشتقاته يترجمها لكلمة واحد «أحبك» ، ولم تتأخر على ولم يطل الانتظار ورسائلها الجميلة .

– هرد عليك بس علشان ، أتاكد إنك كنت تعبان . . . ألف سلامة عليك !

– الله يسلمك ، أخبار محمد أيه !!

– وانت مالك «معلش» .

– بطمن عليه .

– ملكش دعوة ، وايه اللى انت كاتبه ده كله انت فاضى بقى !!

– بصى يا شروق أنا بحبك وعايز أخطبك .

– انت مش وراك غير كلمة بحبك وعايز أخطبك .

– يعنى أحور اللى فى قلبى على لسانى .

– أنا مش بفكر فى حاجة دلوقتى ، لما أخلص جامعة ، انا مش هكلم اى حد وهو مش بالنسبة لى حاجة !

– حد وايه بالنسبة لى حاجة !! أنا مستنى ردك بكرة !!

مر يومان وكلى أشتياق ولهفة لردها ووقفت أوضاعى على ردودها ، فما سيكون سأنفذه . . . تحيرت من عدم الرد ولم أجازف لإرسال رسالة أخرى ، فنادتنى برسالة منها

– بتعمل ايه يا عمر !! ايه اللى مصحيك لغاية دلوقتى

– المفروض كنت مستنى ردك من يومين لا ده اليوم التالت آه

– عملت ايه فى كليتك

– ماشى الحال، وانت؟

– اه دخلت «تجارة E » وماشى الحال

– أيوه الناس بتوع «E» النضيفة هههه، عارف واتبسط أوى.

– عارف فى ناس بتبقى الفرصة فى ايدهم وبيضيعوها

– آيه ده يعنى !!

– أسمع أغنية صولا الجديدة «هيقولك»

– طب ثانية كدة. . . .

سمعت الأغنية بدل المرة مرات عدة وكلمتها. . . .

– على فكرة أنا مش كدة خالص

– وانت ايه بس، كلكوا بتضحكوا وتلعبوا.

– لا خالص والله، أنت عارفه أنا كنت بحبك ليه !!!

– كنت

– حبيتك علشان أنا، لا ببص لشكل ولا جمال أنا حبيتك وخلاص، أحبك أكتر وأكتر غير أنك حبيبة قلبى حبيت فيك البراءة والاحترام والأدب وحبيت عينيك!

– حبك برص

– مش هرد علشان أنا محترم .

طالت الحكايات وطالت أيامها والكلام استمر كثيراً ، استعجالى وخوفى من رجوعى لحبى لها لدرجة الجنون أكثر وأكثر وخائف يكون الحب أكبر من الأول وأعلق نفسى بها أكثر كان لابد من وضع حد لهذه الحيرة وهذا القلق :

– مستنى ردك لغاية دلوقتى .

– رديت عليك على فكرة ، وأنا مخطوبة .

– مخطوبة ازاى يعنى !!ما أنا عارف اللى فيها .

– أعمل أيه يعنى .

– لا متعمليش وأنا مش عايز أكلمك تانى ومليش فى جو الصحوبية .

استرحت الان ، كنت أريد أن أنتهى من عذابى وفكرت فى حظرها ولكنى رأيتها وسائل صبيانية . اذن فماذا أفعل وأنا لا أحب الانكسار من أقرب المقربين فلن أظهر حبى مرة أخرى

لم يمر القليل . . . مساء يومها ، ظهرت رسالة منها

– نعم . . عايزة أيه !!

– أنا مرضتش أزعلك ، وآسفة إنى عملت «بلوك» .

– لا . . ولا يهمك .

الوداع الأخير

وعادت الكرة . . صحيح النعم عندما تستسهلها ولا تشعر بقيمتها تضيع بسرعة ، وتعود ذكرى الشريط الأول وكأنه مكتوب عليَّ الغباء والتسرع وعدم التفرقة بين الصبر والراحة وبين الاستعجال المحال ، فهنا الغباء أنواع . . . لم أفهم وقتها أنها خائفة ، نعم خائفة من ما قيل عنى ، خائفة من عدم إخلاص حبى لها واكتماله ، خائفة أن ألعب بها فترة ، كان من اللازم أن أفهم ما قالته من معانى وحروف وما وراءها من تورية . . . الأنانية ملأت مشاعرى للحلقوم ، لم أجازف بتضحيتى لها . . . لماذا انتظرت تضحيتها لى؟

لماذا حسبت وقتها تضحية الناس لى فقط ولماذا أيضا لا أتنازل لأحد؟

هل أنا مخطئ أم هى من أخطأت وتسرعت فى ردها وخوفها؟! لم أعلم حقيقة الكلام أنا الأصل فى الخطأ، تائه فى بحور اللوم والأسئلة، تركيزى كان ضعيفا وسمعى ضعف إلا عند كلمة «حب» فهى تملأ ما حولى، ماذا لو قالت الصبر ومعه إنى أحبك. . . فسأنتظرها العمر كله، سأنتظرها ما دام الله أعطانى الحياة، كلامها كان كثيراً، اندمجت فيه مشاعر الحب وتورية الخوف منه.

لماذا نخاف من الحب؟! فبدونه لن نعيش ويصيب الكون الخراب . .
والظن الإثم يهدم فنحن بعدنا لظنون . . . ظنون الحيرة والفراق ، حسبنا المستقبل ونحن فى الحاضر .

أنا بشر ، لم أكمل صبرى فقد نفذ ولم يكن من العقلانية أن أبنى عمرى على وهم أو شكوك من المفترض حصولها ! أو أنتظر فى المحطة ليس بها سبل .

ومن حقها أن تتأكد وتطمئن لمن تحبه ، فما قالوه لها وهى تحكى لى أننى من أصحاب المشاكل وصاحب كأس ملئ بلذات تجفف الحلق من كثرة مرارتها ، مسكر ويملأ فمى دخان ، وأننى كنت ورسمت أحلاماً لهن ووعدتهن بحب كبير .

لماذا سمعت لهن ، وحكيت لها من أنا و ما أصابنى الشيطان بوسوسته بصراحة ، وبدون أن أكذب أو أحرف أو أجمل أو أبرر ، لماذا لم تنظر لقلبى الذى يفيض بحبها ، لماذا لم تسامحنى لصبرى أياماً على ليال مضت وأنا ابحث عنها وأفكر فيها؟

الحيرة لم تغلبنى بل لم اختار الصحيح من الإجابة (أنا ، أم أنا) فهى أنا ، من الصعب أن تظلم قلباً لديه قلبك ، ليس لأنانيتى ولا لرفع علم التضحية بل لأنه لم يظلمنى ، فارتاحت روح قلبى وذهبت معه إلى الآن ولم

تعد، فبماذا أشعر الآن ! مات وبقيت جثته التى لم تتعفن، فهى تزوره من حين لآخر بأحاسيس توجعه وترحل حتى وهو ميت.

وعدتنى، وعدتنى كثيراً وعد صامت لا تفهمه ألا العيون، لماذا نسيت الوعد، أعلم ان العيون لا تنسى فلما نسيت

سددت باب الجدال و أغلقت باب هذا الحب وانتهى، الغشامة ملأتنى فرحل منى إحساس، كلامى لم يكن خفيف بل ثقيل اللسان، لم أجعل أى تفكير حتى ولو لفترة. .أنهيته.

سألت نفسى: هل انا لم أتعلق بها.

أم الصحيح ألا أتعلق بأحد إلا عندما أتأكد أنه معى.

ومرعاهم ..

أشاهد المكان الذى قابلتها فيه أول مرة، أتذكر جمالها وشكلها وحبى لها، ألومها . . . جرحت للبعد وراودنى سؤال من «المخطىء»، وفى خلسة تحتلنى وتتملك روحى، أريد رؤيتها، مشتاق لها، أتمنى الاطمئنان عليها،

ولكنه سؤال ملح، لماذا أفكر بها وأعلم أنها انتهت وأصبحت قصة؟! هل أنا من جرحت أم جرحت؟!

وتثور الاسئلة بلا إجابة، ويتكرر اللوم فمحاسبة النفس صعبة . صعوبتها أننى كنت حائراً . أخاف أن أظلمها وأظلم نفسى والذى أعلمه بشدة أنى أصبحت مريضا بحبها، ولا أستطيع خلق مبرر . خسرتها للمرة الثانية .

وهل هى مثلى أسيرة الحيرة، هل تخاف، وماذا عن خطيبها محمد وان كان لم يشغل بالى لاعتقادى أنه من وحى خيالها، أم هو تجربة فاشلة .

توالت الاسئلة ولم تنتهى ولن تنتهى، فلماذا اسأل ولا أجيب . . . قسطا من الراحة يجب أن أخذه، راحة للنفس والعقل هدنة للتفكير لمستقبلى فهو علاج مرضى بها .

وصفوا دواء سابقاً للتجربة، لم أعترف به، أحببت تجربته الآن مع عدم إيمانى به، إحساس أن تحب قلباً آخر تجعله مرحلة للنزول من ديار الحب القديمة يسيطر علىّ.

لست اخدع قلباً بريئاً بل أخدع قلبى الذى مل من طول الانتظار فعادت روحه اليه وقرر الانتظار ولكن فى احضان صدفته، فالخداع هنا لنفسى ولقلبى، حبى الجديد لم يمت ذكرى بل سيميت مشاعر وتخلق أجواء النفاق، وستصدره إليها بعد أن تعلم حقيقته وتموت المشاعر وتنضم لصف المرتزقة الذين يحاربون للكسب لا من أجل وطن ولا وطنية ولا قومية ولا حتى دينية، متجنسى الأنفس والمبادئ ولتكن القاعدة هى «من يخون يخـــــان».

وبعد علمى بهذا رجعت عن قرارى، وفى بحر الحياة صدمتنى الأمواج على شواطئ لا أعرف أهلها. . . تعايشت معهم ولم أعدهم بشىء فهم زوار، لهم واجب الضيافة، سألونى لما عزلتك.

قصصت لهم ولكن بالوان مختلفة لأظهر حكايتى بقصص وأشكال معينة فانا الظالم والمظلوم والبرىء، وهى قصتها تلونت بأحبار الكذب، حتى لا يشفق عليها أحد إن أنا ظلمتها.

ومرت الأيام وانشغلت بالجامعة والدراسة، حبى للتاريخ، هذا القسم الثمين الذى يحكى الماضى بأمجاده وانكساراته لنتعلم ونستفيد فى المستقبل، أبدعت فى مذاكرتى وتصميمى على النجاح والتفوق لأصل إلى مكانة مرموقة فى هذا العلم.

اتصل بى أحد الأصدقاء بعد طول غياب وكان حاضراً «واقعة الهدية». . .

– عايز أقولك على حاجة، بس خايف الموضوع يزعلك ولا حاجة، أنا عارف قد أيه مهمة بالنسبة لك

– ايه يا عم !!! قول ضحكتنى. . .

– بشوف الـ«S» عند الجيم اللى فى الدقى دايماً.

–«S » مين !!

– !!!!!! شروق .

– أعمل ايه يعنى !

– اوف ، طب ليه كده

– لا أنا بالنسبة لها حاجة ولا بالنسبة لى ، بس أيه قصدك من الكلام . . موضوع راح لحاله .

– لا أنا حبيت أقولك ، أنا كان بيتحكيلى من صحبتها قد أيه انت كنت بتحبها

– موضوع وفات .

– تعال اقعد معايا شوية .

– هجيلك يا «غالى» ، أخلص جامعة وهجيلك أصلك واحشنى ومشفتكش من زمان وواحشتنى أيام زمان انت صاحب عمرى وابتدائى .

المرايا

أتلهف لرؤياها . . . عيناى تشتاق لها ، أنفصل عن العالم كلما أتذكرها لا أشعر بضجيج المترو ولا همهمات الناس ، أعيش فىدنيا أخرى حتى ولو لم يكن الجو شاعرياً بتعرقه ورائحته .

قابلت صديقى بعد السلامات ، جلست معه وتكلمنا عن ذكرياتنا وصداقتنا القديمة ومع هذا الحديث . . . أراها من خلف الزجاج ، فى صمت أرى ضحكتها التى لم تتغير من وقت «عصير القصب» وخجلها ، أتمنى نداءها للسلام عليها ، أرى من معها خطيبها أم قريبها أم زميلها من هذا؟!

تلاشت الفكرة رويداً رويداً . . . حتى رحيلى .

هو حقيقى أن المرايا تبين الظاهر وما يكمن داخلك لا أحد يعلمه حتى وانت واقف أمام نفسك ، لا أحد يشعر ما تشعر به وحتى عندما تشرح .

الناس تنظر الى مظهرك لا أحد يخصه ما بداخلك ، حتى عند سؤالهم «عامل ايه» مرايتك لا تحكى إلا الظاهر فقط .

أصبحت لا أحكى إلا الظاهر ، بل جاءتنى مناعة ولا أهتم ، والأصح أن

المقربين ملوا من سماع قصتى .

وفى خلسة أفتح نتيجتها لأراها وافرح لتفوقها ونجاحها . . .أحب لها النجاح ، وأتساءل إن كانت تحبه لى ! وارد إنها ملاك ولكن فى صورة بشر لا يكره ولكن يحب ، طيبة القلب والمبادئ . . .أبتسم عندما أقول هذا وبعد فوات الاوان سأظل أحبها من خلف جدران العشاق . لم تكن صدفة أيضا ولعلمى الأخير أنها فى النادى ولكن لا أراها .

أراها أعلى مع النجوم أحفظ مكانها وشكلها وتعود عيناى للنظر عليها وأعلم أنه نجم بعيد لن أصل له إلا بعد سنين ونسيت أن الأرض كروية سيتوه منى مكانه وشكله فى يوم .

صندوق آخير . .

لا أجد مبرراً لرجوعى لها ، أبحث عن شىء للرجوع ، هل قدمت لها جميلاً تتذكره أم هى من جرحتنى عندما ضعفت واحتجتها ، الضعف كان يسيطر ، «أمى» تاج رأسى ، مرضت . . حنان الدنيا ضعفت ، قوتى فى الدنيا بعد ربى ، ظهرت نفوس كثيرة أمامى ، كثير رجال فى مواقفهم وظهر من يتظاهر . . .

اشتقت وقت ضعفى وقلة حيلتى ومع مظهرى القوى تشتت أفكارى ، تذكرت كل شىء جميل وتناسيت من المخطئ ومن المصيب ومن يلوم من ، شعرت ان الأطراف تسامحت وتلاقت وبقى الحديث .

«أمى» حضرة الدكتورة عادت لنا بفرحتها وسعادتها ، روحى تعافت ومشاعرى استقرت (سافرت لها) حلمت حلماً ثانياً . . .

وحدثت أشياء ولا ألف ليلة وليلة : مسحت تفاصيلها السابقة من حياتى أو أى شىء يوصلنى اليها ، خفت أن أحبها من جديد .

تليفونى القديم ضاع لم أجده تذكرت أن يكون رقمها عليه مثلاً ، لم يعد هناك وسيلة للوصول اليها لا تليفون ولا أى شىء وكنت حينها مشتاقاً إليها كعادتى . . وكانت المعجزة والصدفة !!!

ابحث فى أحد ملفاتى وكراساتى القديمة بداية مذكراتى التى لم أشرع

فى كتابتها للآخر وكأنى كنت انتظر أحداثاً بل نهايات جديدة وفجأة أجد اسمها واقلب الورقة اكتب حرفها ومعه أرسم قلوباً كثيرة ورقمها ونزل على الانبهار والتعجب.

فكرت قبل أن أكلمها، أحدث إحدى صديقاتها تكون مقربة لها، أرسلت رسالتى الأولى وكلى خجل لا تعرفنى ولا أعرفها ماذا سأقول ولكن كتبت رسالة طويلة عريضة... لا أتذكرها بل اتذكر الرد.

– أنا مقدرة اللى انت كاتبه ده كله، عايزة أقولك إن شروق مش بتفكر فى أى حاجة دلوقتى، ممكن بعد ما تخلصوا تتقدم لها.

يمكن ان يكون هذا رفض بالشكل الكلاسيكى، ارتبت فى كلامها بعض الشىء، رسالة جديدة لها مع إن رقم هاتفها معى، والثانية والثالثة «No seen»

حكيت لها ما حدث ولن أكذب وأجمل النهايات كلامى كعادته ثقيلاً، وعقلى أكثر سكراً.

فشلت المحاولة، بحثت عن أخرى كحل، أخوها، لازم أكلمه أو أكلم والدها أصل لعنوان بيتهم وأطرق الباب لأخطبها.

حاولت الوصول لأخيها فلم أجد وسيلة، فكرت فى الذهاب لعمله.. شيئا يقف بطريقى فلم أصل لشىء.

شلل، متقيد، لا أستطيع التحرك من مكانى

ورسالة أخرى لها...

– أنا آسف على أى حاجة ممكن تكون زعلتك وأنا مش عارف بقول ليه

كده ، إن شاء الله هاجى أخطبك .

-«No seen»

رسمت ذهابى لبيتها معى أخى الكبير وابن عمى ، لطلب يدها وأسمع رد والدها . . ولكن «حبر على ورق» حتى حفظى اسمها بالكامل عن ظهر قلب لم يفدنى .

لم أجد الا السبيل الأخير :

اكلمها فى التليفون ، ولكن تراجعت لعدم رغبتى فى سماع إجابه لا ترضينى أو تغلق هاتفها ، عمتى هى من ستكلمها لا حل بديل فلا اريد إحراج أحد ولكن هى تحبنى ، وتضحى من اجلى دائما وتدافع عنى .

– عمتى ، عاملة ايه . . عايز منك طلب و نفسى مترفضهوش

– اؤمرنى يا حبيبى

– عايزك تكلمى شروق ، عايز أخطبها وأشوفها مخطوبة ولا لأ وايه أخبارها وبتحبنى زى ما بحبها ولا لا ، نفسى أريح نفسى شويه ، حتى ولو الرد مش عاجبنى

– حاضر . . . هات الرقم وخليك معايا على تليفون البيت واسمعنى وأنا بكلمها

– ٠١٠ ... .

أصوات الانتظار صعبة وتمر بصعوبة أكثر ، اسمع دقات قلبى ولا أسمع صوت الانتظار .

– مساء الخير . . . شروق معايا .

انت نايمة ، طب ما تصحى ممكن تكلمينى .

آسفة انى ازعجتك ، أنا عمة عمر زميلك فى الثانوية

-؟؟؟؟؟؟

- بصى البنت بيحبها ألف وهى تختار ، عمر عايز يخطبك ويرتبط بيك

-؟؟؟؟؟؟

- طب حتى بعد ما تخلصى .

-؟؟؟؟؟؟

- طب انت مخطوبة .

-؟؟؟؟؟؟

- متشكرة لذوقك جداً ولو عايزانى أعتذر لماتك ، أكلمها .

يداى ترتعشان وأنا أدخن مثل المجنون وبكيت بدموع جافة ، شعرت برد عمتى لأنى لم أسمع شيئاً

- هى مبتفكرش دلوقتى فى أى حاجة وسألتها زى ما انت سامع يستناكى . . قالتلى لأ ولا حتى فى المستقبل .

رن هاتفى مرة أخرى :

- اوعى تزعل نفسك واوعى تعيط ، عادى عادى يا حبيبى ، مش آخر الدنيا . . أنا عارفة انت بتحبها قد ايه وعارفة دموعك غالية أوى وإن شاء الله ربنا يكتبلك الأحسن .

فى بيتى جالس أفكر ، صباح اليوم التالى لم أر نفسى حزيناً وكأنى لم أحبها بل لم أعشقها ، مصدوم من سماع الكلام ، مصدوم لحبى لها .

الرسالة

رسالة لم تكن لى وحدى بل لمن مثلى ولمن لا يشبهنا أيضاً وان اختلفت الأخطاء وشرائط الأحداث.

لمن يحبنى ويكرهنى.. أنا مؤمن بشىء وأنتظره:

انتظر «خديجة» و «الصديق» رضوان الله عليهما، انتظرهما وأعلما انهما قادمان قادمان، ولن أيأس مع فارق التشبيه والعظمة والمقامات، فأم المؤمنين سيدتنا «خديجة» أحبت سيد الخلق ولم تتخل عنه وسيدنا أبو بكر أحب وصادق حبيب الله ولم يتخلى عنه، حتى وهو فى أصعب الشدائد.

سيرة الرسول نتبعها وحياته ومقدماتها وتفاصيلها، وأعلم كل العلم أن الخير فى الدنيا باق ولن ينتهى، ما دام الحب قائماً.

لن أعاتبها ولن أعاتب نفسى ولن أعاتب القدر والظروف، لن افكر فيما حدث، حتى وان كتبت.. أحببتها وأكتب لها من هنا أننى أحببتها أمام الجميع ولكن إرادة الله هى العليا، لن أقرر من الصواب ومن المخطئ كعادتى، نهاية لا تحتاج أى محاولات انتهت، وانتهت ذكراها.

ورسالتى الأخير التى وصلت لها...

- أنا مستهلكيش، أنا غلطان، بعمل كل حاجة غلط وانت أعلى نجم فى

السما وتستهلى أكتر وأكتر وأحسن بكتيييير منى، ربنا يوفقك ويعملك اللى نفسك فيه واللى انت تتمنيه وأتمنى الخير والله وأفرحلك.

لن أتراجع عما كتبته، تاه الكلام فى النهاية، كتبت هذا كله لاستنتج من المخطئ ولن أحكم أيضاً، حتى لا أنسى من احببته وتبقى ذكراه معى دائما... من وقت لآخر وحتى ان كنت انا المخطئ لا أريد أن أرى هذا، فكفى ما عندى من ندم.

ورسالة لنفسى ولكم:

بحثت فى بحور الظلام عن شىء قد نتذكر أنه يسعدنا، وهو فى الحقيقة مؤلم، فالمسكرات والتدخين والمخدرات بصورتها العامة... نتذكرها علاج للروح بل هى فساد.

فساد فى كل شىء، نهرب من الحقيقة خلف تلعثم بالكلام وأقوال غير مفهومة وضحك فان.

دخان كثيف، نأخذ الشكل بل نعتقد اكتماله به، بل يضعف ويضعف، يقلل ويذل عقولنا تحت ضغط أنفاس نشتهيها حتى وقت الصيام.

فأنا بدأت ووفيت بعهدى معها ولكن بعد خسارتها، لعلها تكون سبباً من أسباب البعد، ولعلها لشكلى القبيح وأنا بين يدى نار وعفار للوجاهة.

منعت التدخين... لأتذكرها وأتذكر كلامها، فهى نصحتنى ونصحنى الكثير ولكن أحببت نصيحتها.

الحب أشبه بمثلث برمودا الذى لم يعلم أحد أسبابه وأسباب اختفاء السفن

والطائرات بداخله، هكذا شبهته . . . الحب تختفى أسبابه وبراهينه ونظرياته فالحب لن تجد له سبباً علمياً ولا أقصد هنا حب الشهوة بل الحب المجردة معانيه وأوصافه والذى لم يستطع أحد كتابة نظريات عنه .

لم أعد الآن أعشق أحداً ولا أعد أحداً ولا افكر، سؤال يراودنى هل أنا فى زمن أصبحت فيه المشاعر الصريحة والحقيقية عيباً !!

ولكن فى النهاية بقيت معى ولازمتنى فى صور متعددة ولكن بأصوات جميلة ومختلفة بمشاعر خالدة، هاتفى الذى أخزن عليه أغانى ومقتطفات من أغانى لن تجد لها ترتيب حتى فى المشاعر ستجد الحزن والفرح ..«كان لك معايا أجمل حكاية لأم كلثوم، ومقطوعة موسيقية لفنان شاب استطاع أن يبدع ويحرك عوده على كلمات «أيام وبنعشها» لعمرو دياب ومن المضحك ان تجد «عيون حبيبى» وأيضاً «متخافيش» ومعها ذكريات «دوامة الحياة فيها قلبى تاه . . ليه كل واحد فينا ماشى فى اتجاه » وراءها «تملى معاك» ومعها «نندم على العشرة الغالية» وبعدها «الملاك البرىء» وأخرها أول كل حاجة، ولم تنتهى فتدخل «يا عالم» ومعها «يوم الرحيل» لصولا ومعها «بعدنا ليه» لحماقى و«زى الشمس» لرامى جمال . .ويؤثر فينا الفن الراقى ويعيد ذكرانا ويعلمنا بكلماته البسيطة وبمشاعره الراقية وتخلد أسماءهم فمن منا لم يتعلم من أحمد زكى والعندليب والزعيم ووردة ومحمود عبدالعزيز وتامر عاشور وعامر منيب وأحمد منيب ووحيد حامد شخصيات كثيرة أثرت فينا بفن راق وبكلمات مهذبة وكتابات رائعة . . شكرا لكم .

تم بحمدالله

الفهرس

الحكاية ٧
البداية ٩
المقاومة ١٥
شروق ١٩
يأس ٤١
بين الطريقين ٤٥
الصدفة ٤٩
خطوة جديدة ٥٥
اللقاء ٦١
الرحيل ٦٧
رسالة ضائعة ٦٩
خداع ٧١
حنين ٧٣
انسحاب ٧٧
الرجوع ٧٩
الوداع الأخير ٨٣
ومر عام ٨٧
المرايا ٩١
صندوق أخير ٩٣
الرسالة ٩٧

الطباعة مؤسسة دار الهلال الصحفية

دار الهلال

سلسلة
الكلمة
Elkalima
مؤسسة العالمية

مذكرات مراهق

عصام الدين جاد

«الحب أشبه بمثلث برمودا».. هكذا يراه الكاتب الشاب عصام جاد بين سطور رواية بديعة استطاع الكاتب «العشريني» أن يعيش، ومعه قارئه، حياة مراهق بكل ما فيها من تناقضات وصراعات تحتل وجدانه بين مثلث «الأنا والهو والأنا العليا»، حسب بنوية فرويد، لحظة ممتدة أقحم فيها الكاتب نفسه، ليخرج بعدها تاركاً لقارئه مهمة الوقوف عندها، متأهباً للانطلاق فى رحلة من البحث حول الجوانب الخفية فى حياة المراهق، أى مراهق، وقد وجد نفسه، بفعل براعة الكاتب فى التعبير عن مكنونات بطل روايته/ مذكراته، مدفوعاً إلى ترتيب أفكاره والعودة إلى المربع «صفر»؛ بحثاً عن متكأ للانطلاق بوعى لا بد منه بأبعاد شخصية «المراهق» فى كل بيت مصري.

وقد اختار الكاتب «الحب»، مثلث برمودا على حد تعبيره، لتصوير حياة المراهق ما بين هزائم مدوية يواجهها وحيداً.. وانتصارات لحظية يحياها وحده؛ ليبتلعه، راضياً بمصيره، «برمودا».. ذلك الجانب المظلم فى ذاته.. يبتلع ذاته.. فيمارس عزلته مخيراً، بعد أن قُطعت خيوط وصاله مع من يرونه بعيونهم فقط.

ولعل الكاتب عمد إلى تشبيه الحب، فى وجدان المحب المراق، بـ«مثلث برمودا»؛ ليؤكد، من وراء السطور، أن الحب فى حياة المراهق تحديداً، ليس علاقة ثنائية بين محب ومحبوبة.. وإنما هو «مثلث».. إذ هناك آخر «ثالث» يوجه له بطل الرواية المراهق رسالته.. هو: المجتمع.

عصام جاد كاتب شاب واعد.. انتظروه، فهو قادم.

مصطفى زكى